مدوّنة تعنى بنشرِ الكتابات التخصصيّة لبراعة الحوزة العلميّة الشريفة

الرّكائِزُ العَشرُ لصناعة الخطابِ الحسيني الأفضل ورُقيّ الأداء

(معًا فَلْنَصْنَعُ الإعلامَ الحسينيّ الأقوى)

بقلم

سماحة عبد العظيم المهتدي البحراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

ننطلق في هذه الاطروحة الجديدة من قول الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

فنقول:

الركيزة الأوّلى: (الوعي الشرعي ومسئوليّة الإعلامِ الحسيني)

إنّ الحديثَ عن الإمام الحسين (عليه السلام) سبطِ الرسولِ الأكرم (صلى الله عليه وآله) ونهضته العاشورائيّة الخالدة حديثٌ قديمٌ ومتجدّدٌ.. طويلٌ ومتشعّبٌ.. عميقٌ ومتحرّك.. ويمتاز عن الحديث حول أيّةِ شخصيّةٍ أو قضيّةٍ أخرى بميزات الشموليّة والربّانيّة ومكوّناته القِيَميّة الأصيلة.

من أجل هذا الامتياز الحصْري للحسين (عليه السلام) ونهضته المقدّسة وجبتْ الدقّةُ والورعُ والإحاطةُ العلميّة في الحديث عنهما، وهو ما يفرض على المتحدّث أن يكون صاحبَ مؤهّلاتٍ وتخصّصٍ يستند إلى كامل الأدلة الصحيحة كي تولدَ استنتاجاتُه مطابقةً لأدلّتها الشرعيّة أو يكون المتحدّث ناقلًا عمّن هو كذلك. فلو أنّ أحدًا ذهب في حديثه عن الشأن الحسيني إلى غير هذا الاتجاه الشرعي فقد ذهب نحو تشويه عظمة الإمام الإلهيّة وتحريف قضيّته الربّانية عن مسارها الإصلاحي. وهذا يُعتبَر من الجرائم الفكريّة التي تجعل الخائضَ فيها مجرمًا بحقّ الإمام سبط نبيّ الإسلام ونهضته العاشورائيّة التي هزّتْ الضميرَ الإنساني في طول التاريخ.

إنّ قائدًا بحجم هذا الإمام العظيم وإنّ قضيّةً بحجم عاشوراء وقد تكلّم الله عنهما مع أنبيائه حتى جرتْ دموعُهم على مظلوميّة سبط خاتم النبيّين.. كم لنا الوقوف المسئول عندهما كلّما أردنا الحديث عنهما، ومن مثل هذا الإمام ابن الإمام أخ الإمام أبي الأئمة الكرام الذي قاد أهدافًا إلهيّةً عظيمةً في اشدّ المنعطفات التاريخيّة للإسلام حينما برز لمقارعة عدوٍّ.. هذا شعاره المعلن:

لَعِبتْ هاشمُ بِالمُلكِ فَلا ... خَبَرٌ جاءَ وَلا وَحْيٌ نَزَلْ

ما أعظم الإمام الحسين سبط نبيِّ الإسلام حينما برز بكلّ الإيمان في وجه الكفر كلّه فخيّره العدوّ بين سِلّةِ الاستشهاد وذلّةِ الاستسلام فأبتْ كرامتُه الهاشميّة خيارَ الذلّةِ للطاغوتِ الأموي إلا أن تتحوّلَ آلامُه على رمضاءِ كربلاء إلى مسيرةٍ شامخةٍ للحرّية والإباء وإلى نهجٍ رائدٍ لمواقف الشرفاء.

إنّ الطبيعةَ المُنسجِمة بين هذا الإمام وبين نهضتِه الإصلاحيّة الكبرى وهي طبيعةٌ مترتّبةٌ على نحو الفاعليّة بالعصمة الإلهيّة والفعليّة بالقُدسيّة الغيبيّة تفرضان على كلّ ذي ورعٍ وكلّ ذي عقلٍ أن يدرسهما من عمق المسئوليّة الشرعيّة ثم يقرّر لو أراد أن يتحدّث حولهما أو يكتب فيهما سطورًا أو يَنشِد شعرًا أو ينشر نثرًا أو يوجِّهِ الناسَ باسم الحسين (عليه السلام) توجيهيًّا فكريًّا أو تحليلًا تاريخيًّا.

هذه هي سيرةُ العقلاءِ العلميّة عندما يتحدّثون حول الشخصيّات العظيمة أو الأحداث الكبيرة.. إذ يتعاملون مع الأبحاث العلميّة والقضايا التاريخية والأمور الوثائقيّة والملفّات القضائيّة والشئون الماليّة بمعايير الدقّة في توفير المعلومات ودراستها ومناقشتهم بمنهجيّة المتخصّصين ومن بعدها يتبنّون الإصدارَ الأخير للمعلومة.. كذلك يجب على الذين يتعاملون مع شخصية الإمام الحسين وقضيّته العاشورائيّة. فليس من الأمانة العلميّة إبداءُ البعض رأيَه

حول هذا الإمامِ العظيم وحول أحزانِ عاشوراء وقضايا الشعائر من دون تحرّي الحقيقة والعلم بها في إطار الفحص القرآني والبحث الروائي والنّقْب التاريخي من خلال الكتب المعتبرة والنقل عن علماءٍ باحثين وخبراءٍ متخصّصين.

يأتي هذا الالتزام بقول الحقيقة بعد التحقيق ممَّن يعتقد بأنّ الإمام الحسين (عليه السلام) ليس شخصيّةً عاديّة ولا قضيّتَه ذات سطحيّةٍ عابرة.. فالذي ينظر إليه من نافذة الولاية والإمامة والخلافة ولكونه ابن بنتِ نبيّ الأمّة وخامس أهلِ الكساء الذين نزلتْ فيهم آياتٌ كثيرة.. سوف لا يتهاون في أخذ الحيطة والحذر كلّما قرّر الحديث عنه وعن كلّ أمرٍ يتعلّق به، وكيف يتهاون مَن يرى نفسَه ممن خوطب بهذا الأمر الصادر عن الإمام الصادق (عليه السلام) إلى شيعته: {اقْرَءُوا سُورَةَ الْفَجْرِ فِي فَرَائِضِكُمْ وَ نَوَافِلِكُمْ فَإِنَّهَا سُورَةُ الْحُسَيْنِ، وَ ارْغَبُوا فِيهَا رَحِمَكُمُ اللَّهُ}. فَقَالَ لَهُ أَبُو أُسَامَةَ ـ وَ كَانَ حَاضِرَ الْمَجْلِسِ ـ : كَيْفَ صَارَتْ هَذِهِ السُّورَةُ لِلْحُسَيْنِ (عليه السلام) خَاصَّةً؟ فَقَالَ: {أَ لَا تَسْمَعُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ إِنَّمَا يَعْنِي الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا)، فَهُوَ ذُو النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ الرَّاضِيَةِ الْمَرْضِيَّةِ، وَ أَصْحَابُهُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) هُمُ الرَّاضُونَ عَنِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ هُوَ رَاضٍ عَنْهُمْ، وَ هَذِهِ السُّورَةُ فِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَ شِيعَتِهِ وَ شِيعَةِ آلِ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً، فَمَنْ أَدْمَنَ قِرَاءَةَ الْفَجْرِ كَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فِي دَرَجَتِهِ فِي الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

ولو لم يجد اللهُ (عزّ وجل) في شخص الإمام الحسين (عليه السلام) هذه النفسَ المطمئنة لما كان يهتف إليه بهذا النداء العظيم ويدعوه إلى جنته بهذه الدعوة المفتوحة.. بلى وقد وجدها فيه وهو في أكمل مصداقٍ لها.

من أجل ذلك وجب أن يكونَ أيّ حديثٍ عن صاحب هذه النفس المطمئنة وعن سيرته وتاريخه وعن خطابه وأحكام شعائره بمستوى مقامه الربّاني هذا لا بمستوى مقاييسنا البشريّة خاصةً لو عرفنا أنّ اللهَ سيسألُنا غدًا عن المسافة التي وقفناها حين الحديث عن ثأره وابن ثأره الحسين وقضيّته؟ هل كنّا حينه قريبين من الصدق أم من الكذب.. مُعبِّرين عن الحقيقة أم عن الزَّيْف والترويج للمغالطة.. متمسّكين بالاعتدال أم متورّطين في التطرّف؟!

إن للخطاب الحسيني خصائص تجعلنا -وخاصةً الخطباء والخطيبات- أن نتّخذ حذرنا من نقل معلوماتٍ أو قصصٍ أو أشعارٍ وقصائد حول واقعة كربلاء بعيدةً عن الصدق والحقيقة والاعتدال.

من هنا كان العلماءُ المتقون لا يُبدون رأيًا إلا بعد التحقّق من مصادره المعلوماتيّة.. وكان الخطباء الورعون لا يتكلّمون عن سيرةٍ إلا بعد توثيق معلوماتهم.. وكان المثقّفون المتوازنون لا يُطلقون فكرةً إلا بعد تفحّص الخطأ والصواب فيها.. وكان الإعلاميُّون الملتزمون لا ينشرون خبرًا ولا معلومةً إلا بعد استشارتهم مع الأكثر خبرة منهم.. وكان السياسيّون الصادقون لا يصرّحون عن تحليلٍ إلا بعد دراستهم لأبعاده.. وكان الشعراء الواعون لا يعبِّرون عن مشاعرهم إلا بعد ركونهم إلى ركن التقوى.. وكان الرواديدُ المخلصون لا يلقون قصيدةً إلا بعد تحرّيهم لمعانيها...

إنّ ضرورة هذا الوعيُ الشرعي لا يتحدّد في المسألة الحسينيّة بهؤلاء فحسب بل يشملُ كلّ ناشطٍ مسرحيّ وعاملٍ في مجال التشابيه وكلّ خطّاط عندما يُمسِك دواتَه وكلّ رسّامٍ حينما يمسك بريشتِه وكلّ مُخرِجٍ للأفلام الدينيّة والمسلسلات الحسينيّة وكلّ مُنتِج لها وممثِّلٍ في أدوارها.. كما يشملُ طبّاخي الحسينيّات وموزِّعي الطعام على طالبي بركة الإمام.. ويشملُ كلَّ مشاركٍ في مواكب العزاء وكلّ خادمٍ في التنظيفات وكلّ عضوٍ في إدارة الحسينيّات وكلّ رئيسٍ فيها.. جميع هؤلاء

يجب عليهم أن يأخذوا وعيَهم عن الإمام الحسين (عليه السلام) وسيرته ونهضته من مَعين المعلوماتِ النقيّة، لأن المعلومةَ تصنع الأفكار والأقوال وتبني المواقف والأفعال.

بهذا الوعي الشرعي سيرتقي الحسينيّون مقامَ المسئوليّةِ الإعلاميّة في شرح قضيّة الإمام الحسين المقدّسة وشخصيّته المجيدة.

وعليه فلا يكفي حُبّ الحسين في قلب الشيعي ما لم يغذّيه بهذا الوعي الشرعي ليكون مؤهَّلًا للكلمة قبل إطلاقها وأهلًا للموقف قبل اتخاذه.

هذا ما أوحتْه لنا الآيةُ التي خاطب فيها ربُّنا تعالى نبيَّه المصطفى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ).. فهو تحذيرٌ بتهديدٍ حادّ ولكنّه غيرُ موجَّهٍ إلى النبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله) إلا بمقدار "إيّاك أعني واسمعي يا جارة".. لأن الله ما اختاره للنبوّة الكاملة وما اصطفاه للرسالة الخاتمة إلا وهو يعلم أنه لن يتقوّل عليه (جلّ جلاله).. فالرسالةُ إذن موجَّهةٌ إلى علماء الدّين والمثقّفين وكافّة المسلمين بما فيهم العاملين في إحياء الشعائر الحسينيّة أن يلتزموا الصّدق في قول الحقّ والإخلاص في فعل الحقّ أينما كانوا من مواقع الارتباط بالشأن الحسيني.

ويتحقّق ذلك بالتجرّد عن هوى النفس الذي يتمثّل تارةً في حُبّ الذات.. وتارةً في حُبّ المال.. وتارةً في حُبّ الجنس.. وتارةً في حُبّ الجاه والمنصب.. وتارةً في حُبّ السكن الفاره.. وتارةً في حُبّ العشيرة على حساب القيم الدينيّة.. كما ذكرتْها الآيةُ (٢٤) من سورة التوبة: (قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ).

وهي ذاتها جذور التخلّف الذي ضرب المسلمين وجلب لهم النزيفَ المتواصل بظهور الفِرَقِ الضالّة والجماعاتِ الدمويّة والخلافات الهدّامة والخرافات الهزيلة...

وها نحن اليوم بعد (١٣٨١) عامًا من عاشوراء الدامية التي وقعتْ في عام (٦١) الهجري نعيش وحولنا عددٌ من التصوّرات المغايرة لفكر الإمام الحسين (عليه السلام) وأهدافه.. وهذا أيضًا من نتاج تلك الأهواء والمعلومات الخاطئة التي أطلقها كلُّ مَن لم يراعِ الدقّةَ والأمانةَ والتقوى في حديثه حول الإمام وقضيّته!!

إنّ هذا الواقعَ السقيم يوجبُ علينا جميعًا قبل أيّ حديثٍ حول الإمام أو تفسيرٍ لقولٍ من أقواله أو تحليلٍ لموقفٍ من مواقفه أن نراجعَ الضوابط العلميّة ونتذكّر المحاذير الشرعيّة وندقّق في الطرح. وذلك هو ما أرشدنا إليه في قوله (عليه السلام): *{الصِّدقُ عِزٌّ، والكِذبُ عجزٌ، والسِرُّ أمانةٌ، والجِوارُ قَرابةٌ، والمعونةُ صَداقةٌ، والعَملُ تَجربَةٌ، والخُلْقُ الحَسَنُ عِبادةٌ، والصَّمتُ زَيْنٌ، والشُّحُّ فقرٌ، والسَّخاءُ غِنًى، والرِّفقُ لُبٌّ}.

فخلاصة هذه الركيزة هي الوعي لمسئولية الكلمة.. وهي قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا).

ومنها كانت رسالة الأنبياء في البلاغ المبين والإبلاغ والإرشاد.. وهي الإعلام الذي نروم بيانه في العمل الحسيني عالميًّا.

الركيزة الثانية: (لغة اللسان والجسد والسلوك في الخطيب المنبري)

هل لغةُ الخطباء على منابر الحسينيّات كافيةٌ لأداء ما هو المطلوب منهم أم تفتقر إلى مراجعةٍ نقديّة وتطويرٍ في إطار الشرعيّة المستمدّة من عقيدة الإمام الحسين (عليه السلام)؟

نعم.. ما دمنا نؤمن بمحدودية علم الإنسان ومهاراته وأنّ التطوير الايجابي حركة صعوديّة لازمة للحياة فإنّنا نرى أنّ لغةَ الخطباء في ألسنتهم وجسدهم وسلوكهم تفتقر إلى مراجعةٍ نقديّة من أجل هذا التطوير نحو الأفضل حسب الشرح التالي:

لا جدال في أنّ المنبرَ الحسيني كان ولازال محور التبليغ للقضيّة الحسينيّة فكرًا وعقيدة.. نعيًا وسيرةً.. توجيهًا وموعظة.. تحليلًا وتعظيمًا.. كان ولازال هو الأساس قديمًا وحديثًا في بناء الوجدان الشيعي وتأسيس كيانات الشيعة المنتشرة في كلّ بقاع الأرض.

وهذا يكفي دليلًا على وجوب صون المنبر الحسيني من الضعف والهزْل والاستغلال والاستهتار ومن كلّ أنواع الخطاب المُشوِّه لحقيقة العقيدة الحسينيّة الرائدة وتاريخ النهضة العاشورائيّة المقدّسة.

فماذا نفعل لتحقيق هذا الهدف السامي وقد صرنا اليوم في ظلّ الغزو الثقافي الغربي والهجمة الوهابيّة والإرهابيّة نرى كلَّ مَن تعلّم بِضْع كلماتٍ وكان صوته جَهْوريًّا صَعَدَ هذا المنبر المقدّس فنصب نفسه مقامَ الإفتاء بدلًا عن المراجع الأجلّاء وأخذ يقول بالجزم ما يشبه الهراء.. ثم زاد عُجْبُه بنفسه لمّا رأى اعجابَ الناس به وهم غالبًا لا يميّزون بين الفكر والتاريخ الصحيح وغير الصحيح!!

خطباءٌ من هذا النوع وإنْ قَلّ عددهم لكنّهم يشكّلون أزمةً في الخطاب الحسيني ويشوّهون صورة الخطباء الصالحين..

نعتقد أنّ هذه المشكلة الخطيرة التي استنزفتْ من الشيعة طاقاتها وكلّفتْ التشيّع خسائر كثيرة يجب إيقافُها بحكمةٍ جماعيّة من جهاتٍ مرجعيّةٍ حوزويّةٍ حاسمة تُوجِّه الموقفَ في ثلاث مراحل:

١- النصيحة العامّة كمرسومٍ إرشاديٍّ لعموم الخطباء.

٢- التحذير الخاص للخطيب المعنيّ بالأمر مباشرةً دون الإعلان ولكن يقال له عن الخطوة التالية العلنية في حال تماديه.

٣- إن كان الخطيب المنحرف فكريًّا محسوبًا على مرجعٍ معيّن لابد من الكلام معه ليباشر نصيحته أو منعه.

٤- عند التمادي تُنفِّذ تلك الجهات المرجعية اجراءاتها اللازمة لإيقافه عن صعود المنبر ولو ببيان يُذكَر فيه اسمه داعيةً الناس إلى مقاطعته إنْ كانت خطورته كبيرةً على الإسلام والمذهب والمجتمع.

ذلك لأنّ هذا المنبر ليس لكلِّ مَن يشرِّق ويغرِّب بمعلوماته المأخوذة من كتبٍ غير معتبرة أو مواقع التواصل الاجتماعي المنحرف أو يأخذها من أمثاله الشواذّ ويزيد عليها من أهوائه الشخصيّة...

وفي السياق نفسه يوجد خطباءٌ لا يقصدون الإساءةَ إلى المنبر الحسيني ولكنهم ينقلون ما لا ينسجم مع أصول العقيدة العِتْرويّة الأصيلة.. أو يتكلّمون بلا أخذ مستويات المستمعين والمستمعات في الاعتبار أو بلا وعي الزمان والمكان حولهم وما لكلامهم ومن حيث لا يعلمون آثار مدمّرة على مستوى الدماء والأعراض والأموال والأوطان إذا ما انتشر كلامهم عبر منصّات "الوتس أب" و"الفيسبوك" و"الانستقرام" و"اليوتيوب" و"القنوات الفضائيّة" فتكون الطامّة أكبر إذ يصطاده أعداء المذهب للتمسخر بالتقطيع والتحشيش!!

هؤلاء الخطباء طيّبو النفسِ والنوايا ولكنّهم غافلون عن قول الإمام الصادق (عليه السلام): {العَالِمُ بِزَمَانِهِ لا تَهْجِمُ عَلَيْه اللّوابِس}.. لا يعلمون عمقَ المكائد وخبثَ المصائد وإذا بهم يقولون على المنابر ما لا ينبغي لهم قولُه حتى في المجالس الخاصة وعند تعليقاتهم الارتجاليّة.

زمنٌ موبوء في أكثر زواياه ومُلغَّمٌ في أكثر خباياه.. ويأتي الخطيب غير الناضج أو الغافل عن زمانه فيُطعِم الفتنَ فيه ويَسقِيها ويشدُّ عودَها وهو يحسب أنه يُحسِنُ صُنْعًا، بينما هو يُقصِم ظهرَ الدّين ويخدش في عظمة القضيّة الحسينيّة ويكون وبالًا على الناس المساكين.

لذلك وجب نُصْحُ كلّ خطيب مُبتدِأ وكذلك الخطيب فوق المبتدأ أن لا يتحوّل -ومن حيث لا يشعر- من خادمٍ للمنبر الحسيني إلى هادمٍ لهذه الأمانة العظيمة التي هي الإرث الباقي من كبار خطباء السلف الصالح ممن ورثوا الخطابَ الموزون من منابر النبيّ الأكرم وأئمة أهل البيت (عليه وعليهم الصلاة والسلام).

مثل هذه الطامّات تسلبُ الإعلامَ المنبري قوّتَه بلا ريب وتُضعِفُ مصداقيّتَه بلا شك...

وأيضًا يدخل في هذا السياق الخطباءُ الذين يرون المنبرَ بابًا للارتزاق.. حتى ذهب بعضُهم إلى اشتراط مبلغٍ ماليٍّ (وكذا قدْره) مقابل موافقته على اعتلاء المنبر وقراءته الحسينيّة وكأنّ خِدْمة أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) ونصرة قضيّته أصبحتْ تجارةً لتحصيل المال وسعةً على العيال!!

بالتأكيد هذه ليست من الخِدْمة ولا من النصرة وقد أحرم الخطيبُ نفسَه عن الأجر الإلهي في آخرته بعد أن أخذ أجرَه الدنيوي وفَاوَضَ عليه صاحبَ الحسينيّة وإدارتَها بالفلس الواحد!!

لابد من تقويم هذا الاعوجاجِ بتذكيرِهم شروطَ الإعلامِ المنبريّ المقدّس كي يتخلّوا عن سلبياتهم التي ضجّ منها الناس وهم لا يسمعون ما يقوله الناسُ من ورائهم. وهذ دليل عدم تأثير مواعظهم فيهم!!

كما ويدخل في السياق نفسه أولئك الخطباء الذين يوظّفون المنابر الحسينية لتصفية الحسابات الشخصيّة أو الحزبيّة أو التكتُّلاتيّة ضدّ الرأي الآخر.. وكأنّ المنبرَ الحسيني مِلْكُه الخاص أو مِلْكُ حزبِه وحاشيته!!

ما عدا هذه المظاهر السلبية هناك بعض النواقص التي سأذكّر بها الخطباء المحترمين انطلاقًا من هذه الآية (وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ):

- فمنهم مَن يتحدّث بلباقة ولكنّه لم يُحسِن قواعدَ اللّغة العربيّة!!
- ومنهم مَن يستدل على فكرةٍ صحيحة بدليلٍ ضعيف ولم يُتعِب نفسه في البحث عن أدلةٍ أقوى.
- ومنهم مَن يُطيل ويُطنِب ويكرّر ويُفصّل دون رعاية أوقات الناسِ والتزاماتهم الأخرى!!
- ومنهم مَن يرقى المنبر متأخرًا عن الموعد المعلن ولا يعتذر للحاضرين أو يبيّن لهم سببَ التأخير ثم يحاول الترميم بحضوره مرّةً أخرى في أوّل الوقت!!
- ومنهم مَن يُهينُ الجالسين بلا قصد غالبًا بالأمثلة أو بكلمةٍ مباشرة أو غير مباشرة!!
- ومنهم مَن يذكر من القضايا الزوجيّة ما لا يصحّ التصريحُ به وفي المجلس نساءٌ مستمعات!!
- ومنهم مَن لا يختار الموضوعَ المناسب للحاضرين ولا يفيدهم بشيءٍ جديد ولم يطوِّر نفسه!!

- ومنهم مَن لم يحفظِ الآياتِ القرآنيّة أو الأحاديث ليقرأها بصورةٍ صحيحة!!
- ومنهم مَن لا ينتبه إلى حركاته الزائدة على المنبر.. يحرّك جسمَه ورأسَه يمينًا وشمالًا حتى يبتعد عن السمّاعة وكأنه يتكلم مع نفرٍ جالسين تحت المنبر فينقطع الآخرون عن متابعة كلامه!!
- ومنهم مَن يفاكه المستمعين ببعض الطرائف وهو في ليلة الحزن!!
- ومنهم مَن يغلب على كلامه النمطُ القصصي وأكثرُها منامات.. أو يغلب عليه الاستعراضُ الفلسفي أو النصُّ التاريخي الجاف بلا تحليل وإسقاطٍ على الواقع.. أو يغلبُ عليه البحثُ السياسي والشعاراتُ الثوريّة وكأنّ الإمام الحسين هذا بُعدُه فقط ولا غير...

هذه السلبيّات مَعاولُ هدمٍ تدريجيّ للمنبر الحسيني.. وبالتالي فهي تضعيف للإعلام الحسيني من جهة ومن جهةٍ أخرى توفّر المادّة الإعلاميّة المضادّة للتشنيع على التشيّع والتنفير عنه...

من هنا كان من واجبات الخطيب الحسيني أن يحذرَ تلك السلبيّات بتأمّله فيما كتبه الإمام الحسين (عليه السّلام) لابن عباس: *{لَا تَتَكَلَّمَنَّ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْوِزْرَ، وَ لَا تَتَكَلَّمَنَّ فِيمَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لِلْكَلَامِ مَوْضِعاً، فَرُبَّ مُتَكَلِّمٍ قَدْ تَكَلَّمَ بِالْحَقِّ فَعِيبَ. وَ لَا تُمَارِيَنَّ حَلِيماً وَ لَا سَفِيهاً، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِيكَ وَ السَّفِيهَ يُؤْذِيكَ. وَ لَا تَقُولَنَّ فِي أَخِيكَ الْمُؤْمِنِ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ أَنْ يَقُولَ فِيكَ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ. وَ اعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ بِالْإِجْرَامِ، مَجْزِيٌّ بِالْإِحْسَانِ، وَ السَّلَامُ}.

فمَن يريد أن يكون منبرُه وسيلةً لرضا الله ونفع العباد.. يجدر به:

١- أن يدرسَ العلومَ الحوزويّة ولو بمقدارٍ يُمكّنه من طريقة الاستفادة الممنهجة من كتب التفسير واستخراج الروايات الصحيحة والتمييز بين التاريخ المزيّف والتاريخ الحقيقي.

٢- أن يتعلّم فنّ الخطابة بأصولها العلميّة والأدبيّة الصحيحة.. من خلال قراءة كتبٍ في هذا المجال أو التتلمذ عند أساتذةٍ محترفين.. وأن يتابع آخِرَ ما أنتجتْه مدرسةُ الخطباء وتجاربُ الخبراء من أساليب التأثير والإقناع.

٣- أن يُكثِر من المطالعة في عامّة العلوم الداعمة لقوّة الخطاب ومحتواه.. مثل المعلومات الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة والتاريخيّة والأسريّة والشبابيّة.

٤- أن يدرس علم النفس وعلم الاجتماع وعلم المنطق.. ولو بالمطالعة الذاتيّة.

٥- أن لا ينقطع عن مجالس العلماء الكبار ومتابعة تطوّرات الحوزات العلميّة وأخبار الناس والأحداث.

٦- أن يتخلّق بأخلاق النبيّ العظيم والأئمة الطاهرين (عليه وعليهم السلام).. ليرى الناس فعله قبل قوله.

٧- أن يتعبّد بالمستحبّات المختارة وخاصةً التهجّد بالليل ليكون من المستغفرين بالأسحار والباكين بين يدي الله عزّوجل.. وفي هذا سرُّ نجاحِه الشخصي وسرُّ تأثير كلامه في مستمعيه.

٨- أن يُحضّر لمواضيعَه المنبريّة تحضيرًا جيّدًا ويُلقي نقاطَه بتسلسلٍ مفيد وطرحٍ سَلِس ولا يُضيّع أوقات الناس.

٩- أن يكون واعظًا ناصحًا مُربّياً ذاكِرًا ومُذكِّرًا.... شفيقًا على هداية الناس.. لطيفًا سَمِحًا.. لا فحّاشًا ولا بذيئًا حتى على الأعداء.. إذ يمنعهم ذلك من الهداية والتوبة لو أرادوها يومًا من الأيام.

١٠- أن يهتمّ بمظهره ونظافته الشخصيّة وملابسه ورتابة عمامته وطيب رائحته.

١١- أن يعيش الزهد قدر الممكن في حياته الشخصية ولا يرى الناسُ عليه حرصًا وبذخًا.

١٢- أن يقرأ فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ويعتقد به من نفسه لكي يحدّث عنها للناس بقناعة واعية.

١٣- أن يبكي حين قراءته للنعي والرثاء.. فبكاء الخطيب من غير تَصنُّع مكشوف يترك أثرًا كبيرًا في نفوس الجمهور.

١٤- أن يدعو للجميع بالخير ولا يستثني أحدًا بسبب خلافات شخصيّة وحزازاتٍ جاهليّة.

الركيزة الثالثة: (شعراء القضيّة الحسينيّة.. بين الماضي والحاضر)

كان العرب قبل الإسلام يهتمّون بالشّعر اهتمامًا كبيرًا، ولما جاء الاسلام ودخل بعضُ الشعراء هذا الدّينِ العظيم شجّعهم رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) على جعْل موهبتهم الشعريّة في خدمة الحقّ فكانوا بمثابة الاذاعة لجذب الجمهور وكانت قصائدُهم بمنزلة السهام تخرق قلوبَ أعداء الاسلام وتحمل إلى الناس بشائرَ الخلاص بِلغة الأدب الرفيع وسحرِه الجذّاب.

وقد تلقّوا من الرسول (صلى الله عليه وآله) تشجيعاتٍ.. منها قوله: {إنّ مِن الشّعْرِ لَحِكْمة وإنّ مِن البَيانِ لَسِحْرًا}. ومنها حينما أنشد الصحابيّ حسّان بن ثابت شعرَه في يوم الغدير تخليدًا لعيد الولاية.. قال له النبيُّ الأكرم: {لا تَزال يَا حَسّان مُؤَيَّداً بِرُوحِ القُدُس مَا نَصَرْتَنا بِلِسانِك}. ومنها قوله للصحابيّ الشاعر كعب بن مالك: {إنّ المُؤمنَ يُجاهِدُ بِسَيفِه ولِسانِه}.

هكذا كان نبيّ الإسلام يصنع بالشعر الهادف ورجاله الشعراء وسيلةً للإعلام الأقوى في مواجهة الإعلام الفاسد والمُضلِّل.

ثم تطوّرتْ لغةُ الشعر بين أصحاب الأئمة (عليهم السلام) فأصبحوا ينشرون به فضائلَهم ومناقبَهم ومظلوميّتَهم وتعليماتِهم.. يستلّونها من علوم القرآن الكريم ومن أقوال النبيّ محمد

وإرشادات أهل بيته (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)، فكانوا يؤصّلون عطاءَهم الشّعري بتطعيم أشعارِهم من تلك البصائر القرآنيّة وهُدىٰ محمّد وآل محمّد حتى صاروا أهلًا للإستثناء الذي ذكرهم الله تعالى في قوله: (وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ * أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ).

بهذه الأسس القرآنيّة والنبويّة والعِتْرويّة انطلق شعراءُ الشيعة بقوّةٍ في الردّ على الظالمين والكاذبين وكان جهادهم كبيرًا وتضحياتهم جسيمة من أجل الدفاع عن أهل البيت (عليهم السلام) ومظلوميّتهم.. فما أكثر المواقف التي صنعوها بشجاعة الأوفياء وضحّوا لها بسخاءٍ ودماء.. مثل موقف الفرزدق في وجه الطاغية هشام بن عبدالملك في المسجد الحرام عندما وقف يمدح الإمام زين العابدين (عليه السلام) مرتجلًا بقصيدته الميميّة الطويلة المعروفة:

هَذا الَّذي تَعرِفُ البَطحاءُ وَطأَتَهُ ... وَالبَيْتُ يَعرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هَذا ابْنُ خَيْرِ عِبادِ اللهِ كُلِّهِمُ ... هَذا التَقِيُّ النَقِيُّ الطاهِرُ العَلَمُ

وكان الشعراء الموالون لآل محمّد (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين) في مدْحِهم لهم وقدْحِهم في أعدائهم يبتغون أجرًا من الله تعالى وهم يسمعون من أئمّتهم (عليهم السلام) مثل قول الإمام الصادق (عليه السلام): {مَنْ قَالَ فِينَا بَيْتَ شِعْرٍ بَنىٰ اللهُ لَه بَيْتاً فِي الجَنّة} وقوله: {مَا قَالَ فِينَا قَائِلٌ بَيْتَ شِعْرٍ حتى يُؤَيَّدَ بِرُوحِ القُدُس}.

بذلك حافَظوا على استقامتهم في درب التقوى كي لا يخسروا أجرهم الأخروي، وهذا ما جعل الشعراء الحسينيّين على مرّ التاريخ مُبدِعين في رثائهم مصائبَ سيّد الشهداء وهم يصوّرون ملحمةَ الدماء الطاهرة في عاشوراء تصويرًا حزينًا بمنتهى الفجاعة.. فأبكوا به قلوبَ محبّي أهل بيت النبي الأكرم (عليه وعليهم السلام) واستدرّوا الدموع من عيونهم وقد نالوا بذلك ما وعدهم اللهُ ورسولُه والأئمة من أجرٍ كبيرٍ في الجنّة، وبقيتْ أشعارُهم إلى اليوم مصدرَ إلهامٍ لشعراء زماننا ومنهلَ إبكاءٍ للمؤمنين في مجالسنا ومدرسةً لأدبِ الولاء وحُماسةِ الإباء.

يقول الشاعر أبو هارون المكفوف قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ -الصادق- (عليه السلام): {يَا أَبَا هَارُونَ أَنْشِدْنِي فِي الْحُسَيْنِ عليه السلام}. قَالَ: فَأَنْشَدْتُهُ فَبَكَى. فَقَالَ: {أَنْشِدْنِي كَمَا تُنْشِدُونَ} يَعْنِي بِالرَّقَّةِ. قَالَ: فَأَنْشَدْتُهُ:

أَمْرُرْ عَلَى جَدَثِ الْحُسَيْنِ فَقُلْ لِأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّةِ. قَالَ: فَبَكَىٰ. ثُمَّ قَالَ: {زِدْنِي}. قَالَ: فَأَنْشَدْتُهُ الْقَصِيدَةَ الْأُخْرَى، قَالَ فَبَكَىٰ وَ سَمِعْتُ الْبُكَاءَ مِنْ خَلْفِ السِّتْرِ. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغْتُ، قَالَ لِي: {يَا بَا هَارُونَ، مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ عليه السلام شِعْراً فَبَكَىٰ وَ أَبْكَىٰ عَشْراً كُتِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَ مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَىٰ وَ أَبْكَىٰ خَمْسَةً كُتِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَ مَنْ أَنْشَدَ فِي الْحُسَيْنِ شِعْراً فَبَكَىٰ وَ أَبْكَىٰ وَاحِداً كُتِبَتْ لَهُمَا الْجَنَّةُ، وَ مَنْ ذُكِرَ الْحُسَيْنُ عليه السلام عِنْدَهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ [عَيْنَيْهِ] مِنَ الدُّمُوعِ مِقْدَارُ جَنَاحِ ذُبَابٍ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ وَ لَمْ يَرْضَ لَهُ بِدُونِ الْجَنَّةِ}.

وكيف لا يكون شعراء الحسين بهذا المقامِ عند الله تعالى وهذا مولانا الإمامُ الصادق (عليه السلام) يلقّب السيّدَ الحِمْيري بما قدّمه من أشعارٍ في مدح آل محمد وذِكْر مظلوميّتِهم بـ{سيّد الشعراء}. والكُمَيْتُ الأسدي بما قال وأنشد وكتب في مدح أهل البيت (عليهم السلام) ومظلوميّتِهم قد دعا له الإمامُ الصادق (عليه السلام) أيضًا بقوله: {اللّهم اغْفِرْ للكُمَيْت ما قدّم

وأخَّر وما أسَرَّ وأعْلَن وأعْطِه حتّى يَرضىٰ}. وهذا سفيانُ العبدي الكوفي يقول فيه الامام الصادق (عليه السلام) لشيعته: {عَلِّمُوا أوْلادَكُم شِعْرَ العَبْدِي فَإنّه عَلى دِينِ اللهِ}. وهذا دعبل الخزاعي بعدما يُنهي قصيدتَه للإمام الرضا (عليه السلام) يُثني عليه الامام قائلًا له: {آمَنَكَ اللهُ يَوْمَ الفَزَعِ الأكْبَر}.. ثم يَهدي إليه مالًا وثوبَه الخاص للتبرّك بطلبٍ منه.

والسلسلةُ تطول مع أعلامِ الشعراء الحسينيّين ونجومِ الملحمة العاشورائيّة الذين خدموا بمواهبهم الشعريّة مسيرةَ أهل البيت (عليهم السلام) على كافّةِ الصُّعُد الفكريّة والعقائديّة والمناقبيّة والأخلاقيّة والجهاديّة.. وواسوا رسولَ الله (صلى الله عليه وآله) ببيان ما جرىٰ على أهل بيته (عليهم السلام) حين استشهادهم وفجيع حالهم.. ولاسيّما الذي جرى لسبطه الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة كربلاء.

تلك ما جعل الشعراء في الأجيال التالية لعصور المعصومين (عليهم السلام) مثل أبي فراس الحمداني والصاحب بن عباد والأخوَيْن العالِمَيْن السيّد الرضي والسيّد المرتضى عَلَم الهُدىٰ، والشاعر صفيّ الدّين الحلّي وابن العرندس ورجب البِرْسي والسيّد حيدر الحلّي، وغيرِهم كثيرون (رضوان الله تعالى عليهم).. جعلهم يُبدِعون في أدب الطفّ.

وأمّا عن شعراء الرثاء الحسيني في زماننا.. كم هم يسيرون على نهج أولئك الشعراء السابقين؟ وكم هم ملتزمون بالفكر الولائيّ السليم؟ وكم هي درجتُهم في الاستثناء القرآني المذكور: (إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ)؟

مساهمات كبيرة قدّمها الشعراء المعاصرون لمسيرةِ الوعي الحسيني في الأمّة.. فهذا إثراؤهم في الميدان ظاهرٌ للعيان ومشهودٌ بالبنان. ولكنّنا من أجل البناء الشِّعْري القائم على الأكثر أصالةً

وتطوّرًا واستقامة نرى أنّ شعراءنا الأعزّاء خاصةً فئةَ الشباب منهم لا يستغنون عن التذكيرات التالية:

١- حينما يعرف رجالُ الشّعرِ الحسيني الهادف أهمّيةَ دورِهم في إثارة حسّ الانتماء إلى العترة المحمّدية الطاهرة وفي تثوير عواطف شيعتهم تجاه قضاياهم وفي تهييج مشاعرهم لتقوية العلاقة الوجدانيّة بينهم وبين أئمتهم الأبرار.. هنالك سيعرفون جيّدًا موقعَهم الداعمَ لمسيرة العمل الحسيني وخدْمة شعائره المقدّسة.. فإذا عرفوا ذلك فقد عرفوا الكنز الذي بأيديهم.. فلن يُفرّطوا به ليخسروه ثم يتحسّروا.

٢- من الضرورة لشعرائِنا الكرام أن يقرأوا كتبًا إسلاميّة من تأليف علماءٍ ربّانيّين وكتبَ المقاتل المعتبرة ويقرأوا كلمات وخطب وسيرة ومواقف الإمام الحسين (عليه السلام).. ذلك حتى تتكوّن لديهم صورةٌ نظيفة عن الإسلام العظيم وقادتِه الأمناء عليه وواقعة كربلاء لينطلقوا في إنشاء قصائدهم من هذه الصورة.. لأن الشّعرَ السليم هو نتاجُ المعرفة السليمة، والعكس صحيح.

٣- من المهم جدًّا أن يَعرِض الشعراء قصائدَهم على العلماء السليمين في عقائدهم والمعروفين في فهمهم السويّ للتاريخ والواعين لجوانب القضيّة الحسينيّة، ثم يقوموا بنشرها أو إعطائها للمُنشدِين والرواديد لإلقائها على الناس.

٤- أن يتجنّبوا في أشعارهم استعارة ألفاظِ أهل الهوىٰ.. فإنّها لا تليق بِقِيَم أهل البيت (عليهم السلام).. فلا داعي مثلًا لاستخدام لفظ الخمر والمخمرة والسُّكْر كنايةً عن الحُبّ والهيام في المحبوب حتى لو قصدوا الله أو النبيّ والأئمة!! أو لفظ الكلب كنايةً عن الوفاء لهم

(عليهم السلام)!! وهل الله والنبيّ والأئمة استخدموا مثل هذه الألفاظ كي نتأسّىٰ بهم ونُقلِّدَهم فيها أم هي ألفاظ المتصوّفة؟!

٥- إنْ كان الشعراءُ الحسينيّون يريدون تأثيرًا لأشعارهم في نفوس الناس ويطلبون بها أجرًا في صحيفة أعمالهم يوم القيامة فإنّه يجب عليهم عدمُ مدحِ رجال السياسة المتقلّبين ومدحِ الحكّام الظالمين.. وأن لا يقولوا شعرًا في وصف المعاصي وحُبّ الهوىٰ ومفاتن النساء.

٦- إنّ الشعرَ من عوامل القوّة الإعلاميّة في هذا العصر.. خاصةً تلك الأشعار التي تتحوّل إلى لطميّات على ألسنة الرواديد المشهورين وتبثّها الفضائيّات ولها مشاهدوها من كافّة المستويات.. لذا يكون الشاعرُ في هذه الحالة مسئولًا أمام الله والتاريخ.. فعليه بذلُ الدقّة الكاملة وعدمُ التسرّع في نشر ما يكتبه ريثما تكتمل تصوّراتُه الشجيّة ومختاراتُه الأدبيّة وأوزانُه التي تشدّ القلوب إلى محتوياته الفكريّة ومواعظه المعنويّة وإلى عمقه الرثائيِّ الحزين للمصيبة الحسينيّة. وليحذر الشعراء من الانجرار خلف ما يُسمّى بقاعدة "خيال الشعراء".. فالجائزُ منه هو ما يكونُ فيه الصِّدقُ ولا يَخدِشُ كرامةَ المعصومين (عليهم السلام) وما دون ذلك من الخيال غيرُ جائز.

٧- كلّما أراد الشاعرُ الحسيني لشعره الولائيّ مزيدًا من التطوّر وإحراز نجاحٍ أكبر بين جمهوره ومحبّيه كلّما كان عليه الالتزام بما ذكرنا مضافًا إلى متابعة الجديد في عالَمِ الأدب والانتاج الشعري المميَّز.. وطرح ما يساهم في وعي الناس للعقائد ويدعوهم إلى الأخلاق النبيلة ونبذ العنف والكراهية ويحثّهم على بذل المعروف والتضامن مع المظلومين وما أشبه. لابد من حضور النصيحة لأبناء هذا الجيل في الأبيات الشعريّة التي يلقيها الرواديد في المواكب مثلًا أو يلقيها المنشدون في مناسبات الأفراح.

بهذا سيكون الشعر والشعراء عنصرًا أساسيًّا في صناعة الإعلام الحسيني الأقوى بإذن الله تعالى.

الركيزة الرابعة: (الروايد والرسالة الحسينية إلى الجمهور)

الرادودُ الحسيني اسمٌ يُطلَق على مُلْقي القصيدة الشعريّة على جمهور المُعزّين في مصائب أهل البيت (عليهم السلام) وخاصةً فيما يتعلّق بمصائب الإمام الحسين (عليه السلام) وأولاده وأصحابه. ولعلّ التسمية جاءتْ بسبب ترديدِ الجمهور معه الجواب وتكراره بعض أبيات القصيدة وهو يردّدها وهم يكرّرون معه تلك الردّاديات.

هذا ولقد زاد عددُ الروايد في زماننا وفي كلّ البلدان وبمختلف اللغات وهم يلقون القصائد العزائيّة بشتّى الأساليب والأوزان والأنغام والأطوار، فساهموا (جزاهم الله خيرًا) في تنضيجِ الوعي الحسيني عند جمهور الولائيّين ورَبْطِهم بأهل البيت (عليهم السلام) لاسيّما بالإمامِ الحسين وأبطال كربلاء الذين سجّلوا على ترابِها الطاهر ملاحمَ البسالة والفداء.. فترون جمهورَ المُعزِّين يتفاعلون مع الروايد فكرًا وروحًا وجسدًا حين عزاءِ اللّطم على الصدور أو ضربِ الظهور بالسلاسل وما أشبه.

كلُّ ذلك من التطوّرات الايجابيّة التي اكتسبتْها مسيرةُ الإعلامِ الحسيني ببركةِ الروايد المتميّزين في زمانِنا عندما يختارون روائعَ القصائد من الشعراء المتألّقين.. ولكلِّ زمانٍ رواديدُه المتألّقون.

ومن أجل صَوْن الانجازات وزيادة المكتسبات في هذا الحقل الشعائري الهامّ عبر تحسين أداء الروايد الكرام يجدر بعلماء الدّين الربّانيين كمراقبين للحالة الولائيّة وموجّهين للساحة الإسلاميّة ومهتمّين بالشعائر الحسينيّة أن يقولوا ما لديهم من إرشادات للروايد الأعزّاء في ظلّ التوسّع

الشعائري ووجود سفهاءٍ من الداخل وأعداءٍ متربّصين بنا من الخارج مضافًا إلى مؤامراتٍ عالميّة واقليميّةٍ لن ينقطعَ دابرُها إلا بظهورِ الإمام الحجّة (أرواحنا فداه).

من هنا.. فما دامت غايةُ الروادید أن يخدموا عاشوراءَ الحسين فلابد لهم أن يجعلوها مثلما أرادها الإمامُ نفسُه دون تحريفٍ عمّا أراد، لهذا تفرض عليهم المسئوليّةُ السّيْرَ في هذه المسيرة المقدّسة بالمراد المطلوب حسينيًّا، وهذا يعني اعتمادُهم مجموعةَ ضوابط:

- الضابطةُ الأولى:

أن يكونَ الرادودُ ملتزمًا دينيًّا في أمورِه الشخصيّة.. والالتزامُ الدّيني يعني التقوى وعدمَ المعصية.. ويعني الأخلاقَ الحسنة وعدمَ التكبّر.. وأن لا يمارسَ المنافَسةَ الإقصائيّة مع الرادود الآخر.. والالتزام الديني يعني نبذَ الحرص على الظهورِ في الواجهةِ والتفرّدِ بالسمّاعة.. ويعني عدمَ الترويج للضدّيات في قضايا سياسيّة أو فتاوىٰ مرجعيّة أو نَعَراتٍ طائفيّة أو عداواتٍ قوميّة.. ويعني أن لا يثير حساسيّات الناس في منطقة الفعّالية.

كلّ ذلك خارجٌ عن معنى الالتزام الدّيني، ما يعني أنّ الرادودَ الصادق مع الإمام الحسين (عليه السلام) قلبًا وقالبًا يتّقي اللهَ في أدائِه الخِدْمةَ للإمام وشعائره، لأنه -بأبي هو وأمّي- كان كاملًا في الالتزام الدّيني وكان داعيًا إليه وشاهدًا عليه وشهيدًا من أجله، فمثلُ الحسين لن يرحّبَ بمثلِ مَن يدّعي الخِدْمةَ له ويمشي في وادٍ آخر!!

- الضابطة الثانية:

تثقيفُ الرادودِ نفسَه بثقافة الإسلام من فكر أهل البيت (عليهم السلام) ولو بمقدارٍ يمكّنه من وعي محتوى القصيدة التي يعطونه للإلقاء إنْ كانت موافقةً للشرع المقدّس وللثوابت الولائيّة

والأخلاقيّة أم عليها علامات استفهام.. فلا يجعل الرادودُ نفسَه كالببغاء أو جسرًا لعبور الرسائل الفتنويّة بين الناس.. يُلْقي ولا يدري محتوىٰ ما يُلْقي!!

غايةُ الأمر أن يعطي القصيدةَ قبل إلقائها إلى عالمٍ من العلماء المعتبَرين ليراجعَها له.

- الضابطة الثالثة:

تطوير كفاءتِه الصوتيّة وقدرتِه على تلحين الأنغام والألحان والأطوار المناسبة للحزن والإبكاء.. وأن يتجنّبَ سرقةَ أنغامِ المُغنّين وتقليد ألحانِ المُطربين والأطوار المتناغمة مع مجالس اللهو والطّرَب المُهيِّجة على الفساد كما ظهر في العراق نفرٌ من الجهلاء المتلوّنين بلون الشيعة يتراقصون على أغنية "الرّاب" الأمريكيّة. وهذه من مؤامرات التمييع ضدّ الشعائر الحسينيّة المقدّسة. فعلى الروادید المحترمين أن ينتبهوا ولا تستغلّهمُ الأيادي الخفيّة من حيث لا يشعرون.

- الضابطة الرابعة:

أنْ يتجنّب الروادیدُ الناشئون من لِبس الملابس غير اللائقة في مواكبِ العزاء ومن حلاقةِ الشَّعر على طريقة المتأثِّرين بالأجانب الجهلاء. فإنّ الرادودَ يجب أن يكونَ قدوةً لجمهورِه في مَظهرِه ويعطي به رسالةً إليهم في الآداب الإسلاميّة.

- الضابطة الخامسة:

يجب على الرادود أن يطّلعَ على قواعدِ اللّغة العربيّة ليقرأ القصيدةَ بإعرابِها وإلا انقلبتْ معانيها رأسًا على عقب!!

ويساعده على ذلك عِلْمُه بتجويد القرآن الكريم.. وبقواعد الشعر وأوزانِه وبُحوره.. فسوف يكون له تأثيرٌ بالغٌ على الجمهور وتفاعلِهم وجَذْبِ المزيد من المستمعين.

- الضابطة السادسة:

أن يقوّيَ الرادودُ حنجرتَه لكي يُلْقي بصوتٍ عَذْبٍ حزينٍ خاشع يُحزِن المستمعين فتَخشَع قلوبُهم وتلين.

ذلك بالاستفادة مما في صيدليّات الأعشاب أو من تجارب الرواديد الآخرين.. فيسأل عن مُقوّيات الحنجرة وملطِّفاتِ أوتارها الصوتيّة ويبتعد عن الأشياء التي تضرّ حنجرتَه وتُبَحْبِح صوتَه.

- الضابطة السابعة:

من المهم أن يعرفَ الرادودُ خرائطَ العقول في مجتمعِه فيستطلع الوضعَ حوله ويسأل عن نوعيّة الحاضرين ونمطِ العزاء والقصيدة المطلوبة ثم يتوكّل على الله. وإذا وضعنا في الاعتبار وجودَ كاميرات التصوير للرّصد والنشر فهنا تتضاعفُ درجةُ الدقّة في اختيار القصيدة مضافًا إلى مراقبة الرادود لحركاته الشخصيّة كي ينجو من عيون المتصيّدين.

- الضابطة الثامنة:

جَعْلُ الهديّة الماليّة غير محدَّدة (بمبلغٍ وقدْره).. فإنّ هذا الأمرَ المادّي يُعدِم الإخلاصَ من القلوب ويُجرِّد الكلمةَ عن أثرِها في النفوس ويجعلُ الرادودَ صغيرًا في عيون الذين دَعَوْه وعيونِ جمهوره لو علموا بأنه يطلب مالًا على عملِه الشعائريّ لوليّ نعمتِه أبي عبدالله الحسين.. فالتحديد المالي يُحوّلُ الخِدْمةَ إلى الأجرة.. بينما لو قام بخدمتِه خالصةً لوجه الله وطلبًا لرعايةِ صاحب الزمان (عجّل الله فرجه الشريف) فإنّ الله سيردّ التحيّةَ بأحسن منها، وهو القائل: (هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ) وإذا بالرزق يأتيه من حيث لا يحتسب.

- الضابطة التاسعة:

أغلبُ الرواديد يُحبّون الشُّهرةَ والتألُّق.. وأكثرهم غافلون عن أنّ اللهَ لا يحبّ الصعودَ على أكتاف الآخرين، فمَن أزاح منافسيه وزملاءَه بالتآمر عليهم وتسقيطِهم فسوف يحرمه اللهُ مما يطمح إليه من التألُّق أو ربما يعطيه ولكن كأجرٍ له في الدنيا ثم أجر له في الآخرة.

وكذلك يُسلَبُ الرادود عنايةُ الله وقبولُه لو مارس -والعياذ بالله- ذنوبًا مثل إدخال الموسيقى في تسجيلاته الصوتيّة.. ومثل استغلال شهرته في العلاقة بالنساء المُعجَبات به!! أو مثل صرف ماله الذي يحصله من هذه الخدمة الشعائرية في موارد الحرام كالتجارة في الأمور غير الجائزة أو السفر به إلى الترفيه بالحرام. وما أشبه. فإنّ الله سيمهله ويصبر عليه حتى يضربه بفضيحة لا يستطيع أن ينظر بعدها في عيون الناس.. وحينئذ سيتراكم عليه الغمُّ والحسرةُ والندامة.

- وأخيرًا..

ما أروعُ رواديدنا الكرام لو استذكروا دائمًا ما أعطانا سيّدُ الشهداء أبو الأحرار الإمام الحسين (عليه السلام) من دروس اجتمعت عناوينها في هذه الأبياتِ الشعريّة التي كان يقرأها في طريقِه إلى كربلاء:

فَإِنْ تَكُنِ الدُنيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً ... فَإِنَّ ثَوابَ اللهِ أَعْلَى وَأَنْبلُ

وَإِنْ تَكُنِ الأَرْزاقُ حَظّاً وَقِسْمَةً ... فَقِلَّةُ حِرْصِ المَرْءِ فِي الكَسْبِ أَجْمَلُ

وَإِنْ تَكُنِ الأَمْوالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُها ... فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الحُرُّ يَبْخَلُ

وَإِنْ تَكُنِ الأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ ... فَقَتْلُ امْرِيءٍ لِلهِ بِالسَّيْفِ أَفْضَلُ

الركيزة الخامس: (أصحاب الحسينيّات وأعضاء الإدارة.. كيف يكتسبون رضا الله وحُبّ الحسين)

تُشَيَّد الحسينيّات غالبًا في كلّ بلد:

١- إمّا بأموال شخصٍ ثريٍّ وعائلته.

٢- إمّا بتبرّعات من أهالي المنطقة والمحسنين.

٣- إمّا من جماعاتٍ تابعة للمراجع أو تابعة للتكتّلات المُنتمِية أو غير المُنتمِية.

فلو أراد أصحاب الحسينيّات سواءً منهم ما هم بالتعيين العائلي أو بالتوكيل المرجعي أو بالشراكة الانتخابيّة أن يكتسبوا رضا الله تعالى وحُبَّ الحسين (عليه السلام) وشفاعته في الجنة يجب عليهم أن يكونوا في المكان الإداريّ الصحيح شرعًا وأخلاقًا من هذه الأماكن الدينيّة والصروح المباركة.

من أجل ذلك أطرح هنا أجوبةً على عدّة أسئلة رتّبتُها في الصِّيَغ التالية:

- ما هي المواصفات اللازمة في أعضاء الإدارة ورئيسها أو صاحب كلّ حسينيّة.
- لمن تكون كلمةُ الفصل في إدارة الحسينيّات؟
- عند نشوب خلافاتٍ بين المدّعين لوقفيّتِها أو ملكيّتِها أو نهجها الفكري ولاسيّما بعد جيل المؤسّسين كيف السبيلُ إلى حلّها؟

سنبلورُ بأجوبتنا المختصرة هنا الفكرَ الإداري الضامن لسلامة عطاء الحسينيّات في بُعدها الإعلامي والتبليغي والتربوي ولعدم حدوث التآكُل الداخلي عبر الخلافات على رئاسة الحسينيّات كما هو الحال في بعضها والذي دخلتْ ملفّاتُها المحاكمَ في بعض البلدان. ومن المعلوم أنّ

الخلافات تُفقِدُها القدرةَ على عطائها الهادف وأدائها الأفضل، وإذا أفضتْ هذه الخلافات إلى ركوب الانتهازيّين على إدارتها فسوف يصادرونها إلى مصالحهم الذاتيّة بعيدًا عن بواعثها الوجوديّة الأولى مُذ أسّسها الراحلون الأوّلون.

لذا فإنّ رئيس الحسينيّة متى ما يكون هو الأصيل كان أقوى على منع الدخيل من التسلّل والاختراق وتحريف وِجْهة الحسينيّة وتفريغها عن أهدافها.

تأتي أهمّية طرح هذا الموضوع نظرًا لزيادة المشاكل التي شلّتْ بعضَ الحسينيّات بسبب تعرّضها لعمليّات القرصنة من أشخاصٍ إقصائيّين أو منتمين للأحزاب باستيلائهم على الإدارة تمهيدًا لاستيلائهم على عقول روّاد تلك الحسينيّات والبدء في غسيل مخّ الشباب اليافعين منهم والتخندق بهم لأهدافٍ فئويّة!!

فما هو السبيل لإنقاذ الحسينيّات من هذا الخطر الحادث بالفعل؟

المبادئ الإداريّة التي سنطرحها في حال التنفيذ ستكون قادرةً على منعِ حدوث ذلك الخطر من جهة وتكون داعمةً لتقدّم الحسينيّات نحو أداءٍ أفضل من جهةٍ أخرى.. وهي عشر مبادئ:

- المبدأ الأوّل:

أن يقوم المؤسّسون بإنشاء مجلس أمناءٍ من أنفسهم تعود إليهم كلّ القرارات الأساسية في منعطفات الطريق.

- المبدأ الثاني:

تنبثق من مجلس الأمناء أو من خارجه إدارةٌ من ذوي كفاءات إمّا بالتعيين وإمّا بالترشيح والانتخاب.

أهمُّ خصال الأعضاء هو الإخلاصُ لله والتقوى والأمانة وحُسنُ الخُلق في التصرّف مع الناس.. ويجدر بصاحب الحسينيّة أو رئيس الإدارة أن لا يكون أقلّهم في هذه الخصال الجميلة.

- المبدأ الثالث:

اجتماع أعضاء الإدارة لمداولة شؤون حسينيّتهم فكريًّا وماليًّا وتوجيه موكبها ومطبخها وعلاقاتها مع الآخرين وتمثيلها عند الجهات الرسميّة، ولتكن قراراتها بأكثريّة الأعضاء. ومن الضرورة الشرعيّة رجوع الإدارة في أمورها الفكريّة والفقهيّة إلى عالم الدّين الأقرب إلى مرجعهم الديني.

- المبدأ الرابع:

عند الإختلافات الكبيرة لابد من تحكيم المرجعيّة الدينيّة لحلّها عبر وكيلها الشرعي.. وإذا كان الوكيل طرفًا في المشكلة يُرفَع الأمرُ إلى شخص المرجع العادل مباشرةً أو مندوبه الخاص وبحضور طَرَفَيْ الخلاف.

- المبدأ الخامس:

الشفّافيّة الماليّة ومنها في حال عدم وجود محذورٍ خاص للكشف المالي أن يُعلن لروّاد الحسينيّة وداعميها عن حجم الوارد وموارد الصرف لتطمئن قلوبهم وتُسَدّ أفواهُ المشكِّكين والمتربّصين. كما ولابد من إصدار أرصدة على الاستلامات الماليّة بتواريخها وبأسماء المتبرّعين حسب رغبتهم.

- المبدأ السادس:

عدم جرّ الحسينيّة إلى الصراع ضدّ أيّ أحد من المرجعيّات.. لأن صراعات الاستنزاف الداخلي (الشيعي ـ الشيعي) مما يُبعد الحسينيّات عن أهداف الإمام الحسين (عليه السلام) ويؤذي قلبَ حفيده الإمام المهدي (أرواحنا له الفداء) وهو الناظر والشاهد.

- المبدأ السابع:

أن تَتُمَّ كتابةُ مَحاضِرِ الجلسات الإداريّة توثيقًا لأنشطة الحسينيّة وقرارتها.. ومع الإمكان أن يكون ذلك بالتسجيل الصوتيّ والتصويريّ لمعالجة ومَنْع خلافاتٍ مبتنيةٍ على الإنكار.

- المبدأ الثامن:

ترسيمُ كلِّ حسينيّةٍ في دائرة الوقف الجعفري للبلد المعنيّ مع تحديد أسماء المتولّين الشرعيّين فيها أو المتولّي الواحد حسب حيثيّات التأسيس.

- المبدأ التاسع:

أن تُحتفَظ جميع الوثائق عند أمين سرّ الإدارة.. ونسخةٌ منها عند صاحب الحسينيّة أو رئيسها والمتولّي الشرعي للوقف.

- المبدأ العاشر:

لا يُمنَع أن تسير كلُّ حسينيّة على خطها المرجعي إنْ أرادتْ ولكن في إطار التكامل مع الحسينيّات الأخرى وليس في دائرة التصادم والاستنزاف.

يتمكّن القارئُ اللبيب أن يفقهَ روحَ هذه المبادئ الإداريّة العشر من قول الإمام الحسين (عليه السلام) هذا: {ذَرَأَ اللَّهُ الْعِلْمَ لِقَاحَ الْمَعْرِفَةِ، وَطُولَ التَّجَارِبِ زِيَادَةً فِي الْعَقْلِ، وَالشَّرَفَ التَّقْوَى، وَالْقُنُوعَ رَاحَةَ الْأَبْدَانِ، مَنْ أَحَبَّكَ نَهَاكَ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَغْرَاكَ}.

سؤالٌ في الخاتمة يطرح نفسه:

هل توجد علاقة بين هذه المبادئ الإداريّة العشر وبين تقوية الإعلام الحسيني؟

نعم.. هي العلاقة بين القيادة الحكيمة للمشاريع وبين النجاح الأكبر الذي تَنشدُه تلك القيادة. لأن فشل المشاريع من فشل القيادات!!

لذلك صحّ القولُ بأنّ القيادة كلّما كانت أكثرَ وعيًا لأهدافها وأكثرَ فهمًا لمحيطها وأكثرَ انسجامًا مع العاملين فيها وأكثرَ وضوحًا في علاقاتها وأكثرَ أخلاقًا مع الجميع وأكثرَ ورعًا عن محارم الله كانت أكثرَ نجاحًا للمشروع الذي بيدها.

وهذا هو جوهر الإمامة ونظام الولاية في الفكر الإمامي والنّظم الولائي.

ومن هنا تتصل أهمّية القيادة الحكيمة للحسينيّات بأهمّية صناعة الإعلام الحسيني الأقوى وكَسْب النجاح الأكبر لمحبّي أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) تحقيقًا لرضا الله أوّلًا.. وحُبِّ الإمام الحسين (عليه السلام) ثانيًا. بهذيْن الجناحيْن يطير الحسينيّون إلى ثمرات الشجرة الإلهيّة التي سقاها الإمامُ الحسين وأخوه العباس وأولادُه وأصحابُه من دمائهم الزكيّة. وقد قال (عليه السلام) وهو في طريقه إلى كربلاء: {رِضَى اللَّهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ وَ يُوَفِّينَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لَحْمَةٌ هِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تَقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَ يُنَجِّزُ لَهُمْ وَعْدُهُ...}.

الركيزة السادسة: (خَدَمَةُ الحسين متى يكونوا على خُطىٰ أصحاب الحسين)

إنّ من عناصر القوّة في الإعلام الحسيني أن يجسّد الذين يخدمون الشعائر في مختلفِ ميادينه أعلى الدرجاتِ الممكنة من أخلاقِ الإمام الحسين (عليه السلام) ومما أراده النبيُّ الأكرم وأهلُ

بيته المكرمين (عليه وعليهم الصلاة والسلام) من التزاماتٍ شرعيّة بصورةٍ عامة وفي مواقع الخِدْمة الحسينيّة بصورةٍ خاصة.. ذلك هو مقتضى الانتماء وقواعد الولاء وشروط الانتساب إلى التشيّع الذي عَبَّرَ عنه مولانا الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: {يا مَعشَرَ الشِّيعَةِ.. إنّكُم قَد نُسِبْتُم إلَيْنا.. كُونُوا لَنا زَيْنًا و لا تَكُونُوا عَلَيْنا شَيْنا}.

فكلّ خادمٍ يعمل في الحسينيّات وتوابعها يجب عليه أن يعتبر نفسَه وكأنّه رسولٌ من رُسِل أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) إلى الناس.. يعمل في تلك المواقع على خطى ثُقاته الذين أرسلهم إلى الكوفة.. أمثال البواسل الثلاث: مسلم بن عقيل، وقيس بن مسهّر الصيداوي، وعبدالله بن يقطر الحِمْيري...

فلو أنّ الخادمَ الحسيني رأى نفسَه في هذا المقام من تمثيل الإمامِ الحسين فسوف لا يتصرّف من هواه الشخصي ويسبّب الإساءةَ إلى سمعة الجهة المحسوب عليها وهي التشيّع عمومًا والقضيّة الحسينيّة خصوصًا.

لهذا نؤكّد وجوبَ معالجةِ المواقفِ السيّئة التي تصدر عن بعضِ المحسوبين على الحسينيّات ومواكب العزاء والمطابخ والمضائف والتي تُؤلم قلبَ مولانا الإمامِ المنتظر المهدي (أرواحنا فداه)..

وعلى الرّغم من أنّ هؤلاءَ قليلون لكنّهم يتركون صورةً سيّئةً جدًّا في الأذهان عن أكثريّةِ الخُدّام الملتزمين بالآداب الطيّبة والأخلاق الحسنة في عملهم التطوّعي المبارك.

لا نفرّقُ في هذا الكلام بين الرجال وبين النساء اللاتي يخدمن في الحسينيّات.. من الإداريّات والناشطات في الإعداد والتنظيم والعاملات في المطبخ والتوزيع والتنظيف.. فإنّ الخادمة في إحياءِ الشعائرِ الحسينيّة متى ما استذكرتْ موقعَها وما كانت عليه السيّدةُ زينب (عليها السلام)

ورَكْبُ السبايا في كربلاء والكوفة والشام والمدينة المنوّرة واستحضرتْ أمامَها الهدفَ من تطوّعها الحسيني فقد أصبحتْ دوافعُها أقرب إلى الدوافع التي كان عليها أصحابُ الإمام (عليه السلام) وصحابيّاتُه في كربلاء.. وعندئذ ستكونُ الخادمةُ الحسينيّة الزينبيّة ملتزمةً بآداب عاشوراء بعيدةً عن التصرفات التي تُنفِّر حاضراتِ المجلسِ الحسيني وتؤذيهن.

وبذلك يقترب خَدَمةُ أبي عبدالله الحسين (عليه السلام) رجالًا ونساءً من درجات الأصحاب في صفات الإخلاص والأخلاق والإيثار والتنازل عن الذات.. وسيشملُهم حينئذ اعتزازُ الإمام (عليه السلام) بأصحابه لمّا شهد لهم بكلماتٍ قَرَنَهُم فيها بمكانة أهل بيته قائلًا: {أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَىٰ وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا عَنِّي خَيْرًا}.

ولا حاجةَ للاستدلال على هذا المعنى بأكثر من قول الإمام الرضا (عليه السلام) لأحد أصحابه: {يَا ابْنَ شَبِيبٍ: إِنْ سَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلُ مَا لِمَنِ اسْتُشْهِدَ مَعَ الْحُسَيْنِ فَقُلْ مَتَى مَا ذَكَرْتَهُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً. يَا ابْنَ شَبِيبٍ: إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ مَعَنَا فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَىٰ مِنَ الْجِنَانِ فَاحْزَنْ لِحُزْنِنَا وَ افْرَحْ لِفَرَحِنَا وَ عَلَيْكَ بِوَلَايَتِنَا، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا أَحَبَّ حَجَراً لَحَشَرَهُ اللَّهُ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}.

فإذا كانت الخِدْمةُ في أيّ موقعٍ من مواقع الشعائر الحسينيّة شرفًا للخدّام -كما يكتبون هذه العبارة الجميلة على ملابسهم- فلا ينسوا شروطَ الخِدْمةِ المقبولة أيضًا.. فالذي ينساها سيكون كالذي جاء مع سيّدِ الشهداء إلى أرضِ كربلاء ثم غادَرَها في ليلةِ عاشوراء.. لأنه لم يكن بتلك الشروطِ التي تُؤهِّلُه للبقاء مع الحسينيّين الشهداء والفاتحين النّبلاء.

وعندما يعرف الخادمُ -والخادمةُ- هذه المفاهيم فإنه سيعرف أنّ تعبَه في الخِدْمة الحسينيّة إنِ اختلط مع المعصيةِ المُتعمَّدة لا يكون تعبُه هباءً منثورًا فحسب بل ويُعاقبُه اللهُ عليه لناحيتيْن:

- ناحية المعصية نفسِها.

- وناحية الإساءةِ لسمعة القضيّة الحسينيّة!!

ومن الواضح كم يترك السلوكُ الحَسَن للخَدَمة الحسينييّن والسلوكُ القبيح أيضًا من أثرٍ كبيرٍ في المجال الإعلامي للشعائر الحسينيّة.. نظرًا لكون السلوك الحَسَن يساهم في تحسينِ الصورة المطلوبة لتقويةِ الوجه الإعلامي.. والسلوك القبيح يخدمُ الأعداءَ المتربّصين بها سوءًا وبمذهبِ أهل البيت (عليهم السلام) شرًّا.

لكي نُعالجَ هذه المشكلةَ في بعض متطوّعي الخِدْمة الشعائريّة نطرحُ هنا ثمانيةَ خصالٍ مطلوبة فيهم.. ثم نُلفِتُ الانتباهَ في ختام الكلمة إلى نقطةٍ ذاتِ أهمّيةٍ محوريّة:

- الخِصلة الأولى: إنّ الخادمَ الحسيني لا تكون ألفاظُه بذيئةً في كل حياتِه.. وخاصةً حين تعاملِه مع الناس في موسمِ الشعائر الحسينيّة.
- الخِصلة الثانية: إنّ الخادمَ الحسيني يكون أقربُ إلى الإصلاح بين المتصادِمين من انحيازِه الصِّدامي إلى أحد منهم. فمتى ما شاهَدَ خطأً من شخص أخَذ جانبَ الحِلْم وضَبْطَ الأعصاب ساعيًا بحكمتِه الإصلاحيّة نحو إدارة الموقف.

- الخِصلة الثالثة: إنّ الخادمَ الحسيني يكون نظيفًا ويفوحُ منه العِطر.. وكأدنى حدّ أن لا تخرج منه روائحُ مؤذيةٍ لضيوف الإمام الحسين في المأتم أو في الموكب أو في المطبخ أو في المضيف وما أشبه.
- الخِصلة الرابعة: إنّ الخادمَ الحسيني يُرحِّب بمن يدخل مجلسَ الرثاء الحسيني ويقومُ من مكانه ويحترمُ القادمين وحين خروجهم يُشايِعهم لتوديعهم ويدعو لهم بالأجر والقبول وإذا كان الضّيف من الشخصيّات المحترمة يُشايعُه حتى باب الحسينيّة.. وإذا كان فيهم متبرّعون يشكرهم ويسأل اللهَ لهم بزيادة الرّزق وطول العمر.. ولا يُحرِج أحدًا بطلب التبرّع أو يقلّل من شأنه إنْ كان ما تَبَرَّعَ به مبلغًا زهيدًا.
- الخِصلة الخامسة: إنّ الخادمَ الحسيني يعتمد التواضعَ سبيلًا له إلى أفضل الخدمات، ولا يسعى أبدًا للزعامة ولا يتنازع عليها غيرَه.. وإنما إنْ وجد نفسَه مؤهَّلًا لها بشهادة العقلاء المتواجدين في الموقع يستلمُها لأجل الخدْمة الأحسن وليس طلبًا للوجاهة على فراغٍ من الأهليّة!!
- الخِصلة السادسة: إنّ الخادمَ الحسيني عندما لا يجد في نفسِه الكفاءةَ بسبب كِبَر السنّ أو وجود الأكفأ فإنّه يبادر إلى فَتحِ الطريق أمامَ غيره ولا يلعب بأنانيّتِه في مصيرِ المشروع الحسيني ويناور بها ليُثيرَ خلافاتٍ وتصدّعاتٍ من أجل مصالحه الخاصة.
- الخِصلة السابعة: إنّ الخادمَ الحسيني لا يتكلّم ضدّ الحسينيّات الأخرى.. ولا يفتح بابَ صراعات مع مواكب عزاء الآخرين.. ولا يستنقص من مكانة المراجع والعلماء الذين لا يميل إليهم لأسبابٍ تعود إلى ولاءاته الشخصيّة أو الحزبيّة، بل ويقوم حسب المستطاع بزيارة أصحاب الرأي الآخر لتوطين العلاقات الودّية حفظًا لهيْبةِ الشعائر ودعمًا لمظهرِها الأقوى.

- الخِصلة الثامنة: إنّ الخادمَ الحسيني يُخلِص نواياه لله عزّ وجل كي يعيشَ في مواقفِه مع أصحاب الحسين المخلصين.. والمخلص إذا أخطأ لا يستصعب على نفسِه الاعتذارَ ولا يتكابر بل يُصحّح خطأه بحكمةٍ ويُعوِّضُه بمرونة.
- وأمّا نقطةُ الختام..

إنّ من الأهمّية الكبيرة أن يهتمّ خدّامُ الحسين (عليه السلام) بالعاصين من الناس والشبابِ غير الملتزمين دينيًّا.. فلا يجوز لأيّ خادمٍ -وأيّةِ خادمةٍ في القسم النسائي للحسينيّات- طردُ أيّ شخصٍ يدخلُ الحسينيّة أو موكبَ العزاء أو يطلبُ وجبةَ طعامٍ وكان ظاهرُه دون مستوى الضوابط الشرعيّة.. فإنّ الحسينَ بابُ رحمةِ الله الواسعة ولن تتوقّف دعواتُه لهدايةِ الإنسان إلى يوم القيامة.. فعلى خدّامِه أن يرتقوا إلى مستوى هذا الهدفِ الحسينيّ الرفيع.

غايةُ الأمر إذا رأوا الغافلين والغافلات نصحوهم بأسلوبٍ ليّن وكلماتٍ هادئة ووجهٍ بشوش وقلبٍ يحنّ إلى هدايتهم.. وهذا كلّه من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) ومقاصدِهم النبيلة.. وقد ورد أنّ رجلًا من الشيعة اسمُه الشّقْراني وكان يشربُ الخمر علنًا ويعرف عنه الإمامُ الصادق (عليه السلام).. جاء ذات مرّة إلى الإمام يطلب منه مساعدةً ماليّة. يقول الشّقْراني فقمتُ إليه فقلتُ له: جعلني اللهُ فداك أنا مولاك الشّقْراني. فرحّب بي وذكرتُ له حاجتي. فنزل ودخل وخرج وأعطاني من كُمّه فَصَبّه في كُمّي ثم قال: {يَا شَقْرَانِي إنّ الحَسَنَ مِن كلِّ أحدٍ حَسَنٌ وإنّه مِنْكَ أحْسَن لِمَكانِك مِنّا، وإنّ القَبيحَ مِن كلِّ أحدٍ قَبيحٌ وإنّه مِنْكَ أقْبَح}.

هكذا يجبُ أن يكونَ الخدّام الحسينيّون.. ناصحين متعاونين وهادين متواضعين.. وهكذا هو اللهُ في تعاملِه مع المُذنبين.. يستميلُهم ليستهديَهم: (قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا

تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ).. (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ).

الركيزة السابعة: (القنوات الفضائيّة.. الواجهة الإعلاميّة المتقدّمة.. هل تُدرِك مسئوليّتها)؟

تمتاز الفضائيّاتُ الشيعيّة غيرُ الحكوميّة باهتمامِها الأهمّ في الحديثِ المذهبي.. مُتخِذةً سبيلَ التبليغ لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) والدفاع عنه بردّ الشبهات المُثارة هدفَها الأساس أوّلًا وأخيرًا.

وهذا خيرُ عملٍ تقوم به هذه الفضائيّات في مجال تخصّصها المحدَّد على غرار تخصّص الفضائيّات الأخرى في مجالاتها الخبريّة أو الوثائقيّة أو التعليميّة أو السياسيّة أو الرياضيّة وما أشبه.. ولا شك أنّ تعريفَ ما جاء به الرسولُ الأكرم وتبيينَ ما فصّله أوصياؤه أهلُ بيته هو من الأعمال الصالحة التي تُقرِّبُ العاملين فيها إلى الله تعالى باعتباره عملًا تبليغيًّا يقع في امتداد عملِ النبيّ والأئمة في تبليغهم دينَ الله الحقّ.. وهم في ذلك من مصاديق قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا).

يمكننا تشبيهَ دورِ هذه القنوات الفضائيّة بالدّور الذي كان يقوم به رواةُ أحاديث الرسول الأمين وأوصيائِه المنتجبين والذين بعثوهم إلى أصقاع الأرض أو هاجروا إليها بأنفسِهم لإيصال نداءِ الإسلام إلى الناس وهدايتِهم إلى نورِ الحقّ وإصلاحِ شئونهم العامّة.

والفضائيّات بما لديها من مئات الآلاف من المستمعين في العالَم تؤدّي دورًا أكبر من دورِ المنابر المنصوبةِ في الحسينيّات التي يستمع تحتها عددٌ محدودٌ من روّادها وإنْ كان هذا هو من موادّها الإعلاميّة في البثّ وهو نواتها إلا أنها من حيث المستمعين والمشاهدين تبقى الفضائيات ذات درجةٍ عاليةٍ من الأهمّية في بُعدها الإعلامي.. وعلى حجم هذه الأهمّية وآثارِها الواسعة

تتعاظم مسئوليّةُ مُؤسِّسيها ومُموِّليها والعاملين فيها. فإذا عرفنا هذا فسنعرف أيضًا كم هو حجمُ الجريمة التي يرتكبُها الذين جعلوا فضائيّاتِهم منصّاتٍ لنشر الفكر المنحرف وإلقاءِ الفتنة بين الناس وتسعير نار العداوات.. وهي لا تقلّ جريمةً عن الفضائيّات التي تُروِّج للفساد والمجون والغناء.. بل هي أدْمَر لأنها تتحدّثُ باسم الدّين!! وستبقى الكلمةُ الخبيثةُ فيها عارًا وخِزيًا على قائليها حتى وهم ميّتون بعد أنْ احتفظتْ بها تطبيقاتُ "سوشل ميديا" صوتًا وصورة، وكلما زاد عددُ متابعيها في مواقع التواصل كلّما زاد عذابُهم في قبورهم وتألّمتْ أرواحُهم في برزخِهم إلى يوم يُبعَثونَ للحساب العسير والعقاب الأكبر. من أجل ذلك فقد حذّر اللهُ مَن يتكلّمون بدوافعِ الجهل والهوى والعصبيّاتِ الحزبيّة والسياسيّة والعشائريّة قائلًا: (إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ).

وكم قد عانا أئمةُ أهل البيت (عليهم السلام) من فئةِ الثرثارين.. وقد عجّتْ بهم اليوم مواقع التواصل الاجتماعي والفضائيّات الفتنويّة.. وهذا مولانا الإمامُ الصادق (عليه السلام) فبينما يُثني على الصالحين من شيعتِه حينما يقولون خيرًا يذمّ الفاسدين منهم حينما يقولون شرًّا. يقول أبو بصير سمعتُ أبا عبدالله -الصادق عليه السلام- يقول: {رَحِمَ اللهُ عَبدًا حَبَّبَنا إلَى النّاسِ ولَم يُبَغِّضْنا إلَيْهِم. أمَا وَاللهِ لَو يَروُونَ مَحاسِنَ كَلامِنا لَكَانُوا بِهِ أعَزَّ، ومَا اسْتَطاعَ أحَدٌ أنْ يَتَعَلَّقَ عَلَيْهِم بِشَيءٍ، ولكِنَّ أحَدَهُم يَسمَعُ الكَلِمَةَ فَيَحُطُّ إلَيْها عَشْرًا}.

أنظُروا إلى نَبرةِ التألُّم في السّطر الأخير من كلامه (عليه السلام) حينما يصفُ الثرثارين من الشيعة بقوله: {ولكِنَّ أحَدَهُم يَسمَعُ الكَلِمَةَ فَيَحُطُّ إلَيْها عَشْرًا}.. وهذا ما تفعله تلك الفضائيّاتُ التي تبثّ لأشخاصٍ لم يفقهوا مدرسةَ أهل البيت (سلام الله عليهم) فتجرح قلبَ مولانا الإمامِ

المهدي (أرواحنا له الفداء) الذي يرى هذه المهازل ويشاهد آثارَها الهدّامة وكيف يتساقط بها ضعفاءُ العقيدة في شَبَك إبليس.

فهذه الروايةُ الشريفة تنطبق على الفضائيّات الشيعيّة بنوعَيْها:

- النوع الأوّل: هو الجيّدُ منها والأجود إذ تُحبِّبُ الناسَ إلى أهل البيت (عليهم السلام) وتُعرِّفُهم محاسنَ كلامِهم ومكارمَ أخلاقِهم ومعالمَ سيرتِهم ومسيرتِهم طلبًا للإصلاح بين الناس.. الهدفِ الذي خرج لأجله الإمامُ الحسين ونال عليه درجةَ الشهادةِ العليا.
- النوع الثاني: هو الرّديءُ منها والأكثر رداءة التي تَحُطّ على كلامهم (سلام الله عليهم) ما لم يقولوه.. أو تُفسِّره بما لم يقصدوه فتبغِّض الناسَ إليهم وتوقعهم في الفتن لتستنزفَهمُ الأزماتُ تلو الأزمات.

هكذا تهدم هذا النوع الثاني من الفضائيّات هدفَ الإصلاحِ الحسيني ليدفع التشيّعُ الأصيل ثمنَ التأزيم في الخطاب الشيعي وفي زمنٍ يعاني منه الشيعةُ من مُضلّاتِ الفتن والذّبح على الهويّة. وقد يصل هذا الغباء إلى حدِّ العمالة للأجنداتِ الاستعماريّة من حيث يشعر هؤلاء أو لا يشعرون.

والسؤال هنا: ما هو السبيل لمعالجة الخبط الإعلامي في الفضائيّات غيرِ الملتزمة بضوابط العترة الهادية (عليهم السلام) حيث دمّرتْ في شيعتهم جسورَ الخير بشتّى مجالاته وأساءتْ للعلاقات بينهم وبين المسلمين الآخرين؟

سنجيب على هذا السؤال بعد الملاحظات الثلاث التالية:

الملاحظة الأولى:

إنّ من الخطأ الفادح إنشاء قناةٍ فضائيّة لمجرّد زيادة العدد دون النظر إلى محتوى البثّ ونوعيّة المادّة الإعلاميّة وانتقاءِ المتحدّثين فيها!

فالمطلوب هدفيّةُ التأسيس وفق خطةٍ متكاملةِ الأبعاد تُقدّم القناةُ طرحًا جديدًا مميَّزًا عن غيرها ولو بنسبةٍ مّا.

الملاحظة الثانية:

إنّ من الخطأ أن تكون إدارةُ القناة بيد فردٍ ليس خبيرًا في الهندسة الإعلاميّة ولا عارفًا بتحدّيات الساحة وحجم الصراعات الفكريّة.

فالمطلوب هو طاقمٌ إداريٌّ متخصّصٌ وعارفٌ بتلك الجوانب.. أو أن يرتقي الطاقمُ الموجود بدوراتٍ تؤهِّله إلى بلوغِ المستوى المنشود.

الملاحظة الثالثة:

إنّ من الخطأ دعوةَ أيّ خطيبٍ أو مُحاضِرٍ أو وضع برنامجٍ لمجرد ملئ الفراغ.. كيلا تكون ساعاتُ القناة بلا شيء كما يظنّ البعض، حتى غفل بعضُهم فبثّ في يوم وفاة أحد المعصومين (عليهم السلام) أهازيج الأفراح بمواليدهم.. والعكس حصل أيضًا نتيجةَ عقليّة ملئ الفراغ.

فالمطلوب أن يأخذَ مؤسِّسو الفضائيّات والعاملون فيها عِدّتَهم وعُدّتَهم وتكون البدائل جاهزةً لكيلا يسيئوا إلى سمعةِ قناتِهم ويرمونها في الترويج للقسم الثاني من الحديث المذكور الذي حذّر فيه الإمامُ الصادق (عليه السلام).

بهذه الملاحظات الثلاثة يجبُ العملُ في إحداث نقلةٍ ممنهجةٍ للفضائيّات الشيعيّة إلى مرحلةٍ متقدّمةٍ في الطرح المتوافق مع القسم الأوّل من الحديث المذكور.

وعلى ضوء هذه الروايةِ الشريفة ومئاتٍ مثلِها مدعومةٍ بالآيات الكريمة يجب على العاملين في القنوات الفضائيّة أن ينتبهوا إلى شروطِ الإعلام الأقوى في الساحة وذلك بأن لا تخرج ما تبثّه عن مواصفات نوعيّة الأقوالِ الواردة في هذه الآيات العشر:

١- (قَوۡلٗا سَدِيدٗا)

٢- (قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا)

٣- (قَوۡلٗا ثَقِيلٗا)

٤- (قَوۡلٗا كَرِيمٗا)

٥- (قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا)

٦- (قَوۡلَۢا بَلِيغٗا)

٧- (قَوۡلٗا لَّيِّنٗا)

٨- (بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ)

٩- (قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ)

١٠- (يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ)

نعتقد لو أنّ فضائيّات الشيعة التزمتْ هذه المواصفات القرآنيّة للقول لَأصبحتْ رائدةً في الاستثمار الصحيح لنعمة القنوات الفضائيّة، وفي غيرها ستكون نقمةً على الشيعةِ والتشيّع كما هو حالُ بعضِها بالفعل.

يدعونا ذلك إلى ضرورةِ أن يفهمَ الجميعُ بأنّ مسئوليّةَ الخطاب الفضائي ليست هيّنة.. خاصةً لو نظرنا إلى أنّ مشاهدي فضائيّاتنا ليسوا من الموافقين فقط وإنما هناك رصدٌ من المخالفين لصيد الهفوات وإعادة انتاجها لرميها بين الشيعة كقنابل انشطاريّة، وهنا سيكون المردودُ

العكسي لعمل الفضائيّات مُكْلِفًا على كلّ الشيعة وليس على تلك الفضائيّة خاصّة.. ويدفع ثمنَه أهلُ البيت المظلومون مرّتيْن.. مرّةً على أيدي ظالميهم من خارج المذهب ومرّةً على أيدي هؤلاء المغفَّلين من داخل المذهب!!

لِثقل هذه المسئوليّة يجب الحلُّ الحاسم لأزمة الخطاب الشيعي كلما اقترب إلى الفتنةِ بين المؤمنين أو أخَذَ في نشرِ الخرافة باسم التشيّع والدّين...

ولكن بيدِ مَن يكونُ هذا الحلّ؟

بيدِ المراجع العدول لمّا يُصدِروا فتاوى صريحة بتحريم الدعم المالي لأيّ قناةٍ فتنويّة وتحريم مشاهدتها أيضًا.. وذلك على غرار تحريمهم بيع وقراءة كتبِ الضلال لمن يتأثّر بها.

ولا يُوقِف الفوضى الصادرة عن هذه القنوات التأزيميّة والذي بلغ بعضُها حدًّا هزيلًا لا يُطاق إلا بالتنسيق بين المراجع لإصدار بيان جماعي موحَّد.. لأن بيانَ مرجعٍ واحد لا يؤدّي الغرض حيث تُطلِق عليه تلك القناةُ المنحرفة رصاصاتِ البهتان وسهامَ التسقيط بينما لن تستطيع مواجهةَ فتاوى المراجع إذا اتّحدوا.

الركيزة الثامنة: (رسالةُ المؤلّفين وأصحابِ الأقلام)

لقد كان القلمُ والكتابة منذ العصورِ الأولى من أهمّ الوسائل في صناعة الفكر والثقافة وترسيم سلوك الإنسان في أبعاده الشخصيّة والنفسيّة والعائليّة والاجتماعيّة والانتاجيّة وفي صياغةِ السياسات التي حكمتْ البشريّةَ في مختلفِ مراحلها. ولازال القلم هو رمزُ العلم والمعرفة ويحتلُّ الصدارةَ في الوسائل الأخرى المستخدَمة لنقلِ الأفكار وتداولِ المعلومات. من أجل هذه الأهمّية للقلم قد أقسَم اللهُ به قائلًا: (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ). وذلك لشرفِ

الدورِ الذي يؤدّيه القلم عندما يُسطَّر به في موارد الخير وفوائده وروافده وسُبُلِ الحمايةِ عنه في الحياة.. دون أن يوليَ احترامًا للقلم الذي يُسطَّر به في الشرّ وتخريب الحياة.

هكذا هو دورُ القلم وأثرُه في مسيرة الإنسان وحركة الحياة إنْ خيرًا فخير وإنْ شرًّا فشرّ.. ولولا قلمُ الأنبياءِ والأوصياء الذي أقسم الله به وما كتبه عنهم حُواريّوهم لَما كان أحدٌ في الأجيال من بعدِهم يعرفُ شيئًا عن رسالاتِهم وتاريخِهم.. وكذلك لولا القلم لَما كانت الأجيالُ إلى يومنا ومن بعدنا تعرفُ الإمامَ الحسين (عليه السلام) وقضيّتَه الإصلاحيّةِ الكبرى وفاجعةَ عاشوراء حيث اهتدى بها الناسُ منذ قرون.. هذا القلم هو الذي حوّل عظمةَ الإمام ونهضتِه الريادية إلى أمانةٍ في أعناقنا.. وهو نفسُه القلمُ الذي سطّر للأجيال حرمةَ الخيانة في الأمانة.. فعرف الشرفاء أنه من الإثم شرعًا ومن القبح عقلًا ومن العيب أخلاقًا أن يكتبَ الإنسانُ أو يصرّح حول شخصيّة هذا الإمام ونهضتِه من دون الالتزام بضوابط الأمانة في فهمِهما بمنهجٍ علميّ سويّ وفي نقلِهما بأسلوبٍ منطقيّ نقيّ.

فإذا كان كلُّ صاحبِ قلمٍ يحترم قلمَه فإنّ هذا الاحترامَ يُحتّم عليه وَضْعَ قلمِه في المكان المحترم سواءً في الكتابة عن الإمام الحسين وكرامتِه العابرة للأزمنة أو في الكتابة عن أيّ موضوعٍ آخر.. عندئذ سيكون القلمُ الذي بيده قلمًا أمينًا ومُلْهَمًا.

ولكي يكونَ القلم أمينًا ومُلْهَمًا حينما يجريه ماسِكُه حول الإمام الحسين وقضايا عاشوراء يجب عليه الاعتقادُ بأنّه (سلام الله عليه) سماويُّ القول ومعصوميُّ الفعل.. لن يخطأ حينما يقول ولن يَزَلَّ حينما يفعل.. وذلك بشهادة جدّه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي قال: {إنّ الحُسَينَ مِصْباحُ هُدىً وسَفِينةُ نَجَاة وإمَامُ خَيْرٍ و يُمْنٍ و عِزٍّ وفَخْرٍ.. وبَحْرِ عِلْمٍ وذُخْر}.

فإذا كان هذا الاعتقادُ محورَ القلم في الكتابات حول القضية الحسينية لَكان أصحابُها حسينيّون حقًّا وشملتْ أقلامَهم تلك الآيةُ الكريمة: (وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ).

نعتقد أنّ هذا الاعتقاد يشكّل الحجرَ الأساس لكلّ أطروحةٍ سليمة تُسطّرها الأقلامُ في أيّ عنوانٍ من عناوين الفكر الحسيني الرائد ونهجه الرساليّ الخالد. وعليه فكلُّ ما يقوله الخطباءُ على منابرِهم وما ينشده الشعراءُ في أشعارِهم وما ينظّمه الأدباءُ في منثوراتِهم وما يكتبه المثقّفون في منشوراتِهم وما يسجّله الإعلاميّون في مدوّناتِهم وما يقدّمه أهلُ الرّسم والنّحت والمسرح ومُنتِجي الأفلام في إبداعاتِهم إنّما يجبُ عليهم الاستنادُ فيه إلى أقلامِ المؤلّفين الربّانيّين والكتّابُ الصادقين كي يكونَ التسلسلُ المَعرَفي لديهم مشمولًا بقوله تعالى: (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ) الذي فسّره الإمامُ الباقر (عليه السلام) بقوله: {إلَى عِلْمِه الّذي يَأْخُذُهُ عَمّنْ يَأْخُذُه}.

إنّ هذه المسئوليّةَ الثقيلة ملقاةٌ في الدرجة الأولى على عاتقِ علماء الدّين خاصة.. لكون الآخَرين ينظرون إليهم كمصادر للعلم والمعلومات.. لذا يجب عليهم قبل غيرهم أن يُتعِبوا أنفسَهم في البحث عن روايات الشأن الحسيني ثم يُتعِبوا أنفسَهم في درايتِها بنور العقل المتربّي بين بصائرِ القرآن ونفحاتِ السنّة النبويّة العِتْرويّة.. عندئذ يستطيعون التمييزَ بين الرواية القويّة وبين ما دُسّ لتشويه القضيّة الحسينيّة. يقول الإمامُ الصادق (عليه السلام): {حَدِيثٌ تَدْرِيه خَيْرٌ مِن أَلفِ حَدِيثٍ تَرْوِيه، ولا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنكُم فَقِيهًا حَتَّى يَعرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا وإنَّ الكَلِمَةَ مِن كَلامِنَا لَتَنصَرِفُ عَلَى سَبعِينَ وَجهًا.. لَنَا مِن جَمِيعِهَا المَخْرَج}.

بناءً عليه لا يكفي أن يكونَ العالِمُ عارفًا بسندِ الروايات فقط بل يجب أن يعرفَ أيضًا ثلاثة أمور:

١- مَتْن الروايات من حيث قواعد اللغة العربيّة وفقه اللغة وجذور الكلمة.

٢- أصول العقائد الإماميّة الصحيحة.

٣- السّيرة العاشورائيّة.

بهذا سيولد فهمُه للروايات وتحليلُها منسجمًا مع أهداف الإمام الحسين نفسِه (عليه السلام).

ولكن كيف يَبلُغُ العالِمُ هذا المستوى من الفهم السليم؟

يَبلُغه بعد ما يُنهي المراحلَ التالية من دراسته الحوزويّة:

١- مرحلة المقدّمات، ويدرس فيها علمَ الصرفِ والنّحو والبلاغة، وبه يفهم مباني الكلمات وجُذورَها وإعرابَها ومعانيها.

٢- مرحلة السّطوح، ويدرس فيها علمَ المنطق وقواعدَ أصولِ الفقه وعلمَ الرجالِ والحديث وعلمَ الفقه، وبه سيعرف كيف يتعامل مع الروايات ونصوصِ التاريخ.

٣- مرحلة البحث الخارج للفقهِ الاستدلالي وأصولِه وقواعدِه. وبه تتوفّر لدى العالِم مَلَكَةُ الاستنباط أو الرّبطُ العميق بين أدلّة الأحكام للاستنتاج.

٤- مرحلة التخصّص الحوزوي. وهو اختيارُ العالِم لمجالاتِ الدور الذي يريد القيامَ به في حياتِه. وعلى ضوء هذا الاختيار يجب أن يقوّيَ نفسَه في علمِ التفسير وعلمِ التاريخ وعلمِ العقائد ويطّلعَ على مناهجِ التنقيب في الكتب وكيفيّةِ التعامل العلمي مع الوثائق التاريخيّة وما أشبه. واذا اختار طريق الاجتهاد والفقاهة فعليه التبحّر في كل تلك العلوم والتفكّر في أدلّتها.

فإذا قدّم عالِمٌ بحثًا في الموضوع الحسيني مثلًا وهو ذو خلفيّة علميّة تحقيقيّة سيرقىٰ نِتاجُه المَعرَفيُّ درجةَ الوثوقِ به فيصحّ للآخرين أن يعتمدوه كمصدرٍ موثَّق.. وهذا أيضًا لا بصورةٍ نهائيّة.. لأنّ العلم درجات حيث قال الله تعالى: (نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ).

وبالتالي فمَن لم يكون بهذه الدّرجة العلميّة عليه أن يَعِيَ محلَّه من هذه الآية: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ).. ولا يورِّط نفسَه مع قولِ رسول الله (صلى الله عليه وآله): {مَنْ أفْتَىٰ النّاسَ بِغيْرِ عِلْمٍ لَعَنَتْهُ مَلائِكَةُ السّمَاءِ ومَلائِكَةُ الأرْض}!!

إذن بات لديْنا نوعان من الأقلام:

١- قلم ينير دربَ الحقّ ويدعو إلى الخير فيكونُ مصدرَ الوعي بالحسنات في الناس.

٢- قلم يُروِّج للباطل ويدعو إلى الشرّ ويكون مصدرَ السيّئات في الناس.

وبالتالي فهذان القلمان يؤسّسان لثقافتيْن متقابلتيْن كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): {مَن سَنَّ سُنّةً حَسَنةً فَلَه أجْرَهَا وَ أجْرَ مَن عَمِلَ بِها إلَى يَومِ القِيَامَة، ومَن سَنَّ سُنّةً سَيِّئةً فَلَه وِزْرَها وَوِزْرَ مَن عَمِلَ بِها إلَى يَومِ القِيَامَة}.

ونظرًا لهذه الأهمية البُنيويّة للقلم وما لجهود المؤلّفين والكتّاب من تأثير تأسيسيٍّ في المسألة الإعلاميّة.. نطرح هنا بعضَ النصائح:

- الأولى:

توسيعُ دائرةِ المعرفة للاطلاع على أكبر قدرٍ من المعلومات حول الإمام الحسين وتفاصيل نهضتِه الراشدة وتفاعلاتها على مختلف الميادين.

- الثانية:

اعتمادُ منهجِ الدّراسات الحديثة وأساليب الأبحاث الجديدة في بلورة الحقائق وردّ الشبهات والاشكالات.

- الثالثة:

ذِكْرُ مصادرِ المعلومات في هوامش الكتاب ومراجع البحث بأرقام الصفحات وتاريخ الطبعات وجهة الطبع والنشر.

- الرابعة:

الأمانةُ في النّقل والتأكُّد من المصدر ورقم الصفحة.

- الخامسة:

الدقّةُ في طباعةِ الكلمات وصحّة الأرقام.. ثم إعادة المُراجَعة قبل النشر. ولمزيد التأكُّد من خُلوّها عن الأغلاطِ المطبعيّة والإملائيّة يُفضَّل إعطاؤها للمُصحِّح اللُّغَوي.

- السادسة:

بناءً على الحديث الشريف: {أعْقَلُ النّاسِ مَن جَمَعَ عُقولَ النّاسِ إلَى عَقْلِه} يُفضَّل أيضًا إعطاء الكتاب والبحث إلى عالِمٍ خبير لَربما يلاحظ عليه ما فات كاتِبَه. بعد ذلك يرسل الكتاب أو البحث إلى المطبعة وقلبُ المؤلف والباحث مطمئنٌ بنسبةٍ عاليةٍ فيه من الصّواب.

من أجل هذا كلّه قال الإمام الصادق (عليه السلام): {إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَ وُضِعَتِ المَوَازِينُ، فَتُوزَنُ دِمَاءُ الشُّهَدَاءِ مَعَ مِدَادِ العُلَمَاءِ فَيَرْجَحُ مِدَادُ العُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ الشُّهَدَاءِ}.

أوَ تدرون لماذا؟ لأن العلماء لو لم يكن مدادُ أقلامِهم لَضاعتْ دماءُ الشهداء في غيابتِ جُبِّ الجهل وظلمات الجهلاء وذهبتْ دماء المظلومين في دهاليز النسيان.

فالقلمُ الأمين يحافظ على رسالة الدماء البريئة وحقوق شهداء الفضيلة. وكم تُثقِلُ هذه الروايةُ الشريفةُ من مسئوليّةِ العاملين في مكاتبِ مراجع الدّين ومسئوليّة القائمين على إدارة العتبات المقدّسة باعتبارهم الأمناء على رسالة العلماء ودماء الشهداء معًا.

الركيزة التاسعة: (توصيات للخطّاطين والرسّامين والنحّاتين والمسرحيّين والمصوّرين والإعلاميّين في مجال العمل الشعائري)

في العقودِ الأربعِ الأخيرة دخلتْ فنونُ الخطّ والرّسم والنّحت والمسرح والتشابيه على قائمةِ العمل الشعائري قاصدةً نشرَ المفاهيم الفكريّة والرثائيّة حول أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله).. وأخَذَ الموضوعُ الحسيني المساحةَ الأكبر من تلك الأنشطة الإبداعيّة.. يُشكَر عليها نشطاءُ هذا الميدان الإعلاميّ الواسع حيث جلبوا لمذهبِ الحقّ وللشعائرِ الحسينيّة مؤيّدينَ ومتعاطفينَ ومتابعينَ على مستوى العالَم.

ولا ننسى دورَ مصمّمي الدّيكور وخيّاطي ملابسِ الشّبيه وخبيري التطريز وصانعي المكياج في انتاج الأفلام والمسلسلات والمسرحيّات وما أشبه. كما لا ننسى دور الإعلاميّين أيضًا.. كالمصوّرين والمُنتِجين ومهندسي زوايا التأثير وفواصل الأنيميشنات ومُحترِفي المونتاج.. والعاملين في الصوتيّات ودمج الذبذبات والدبلجة والترجمة وكذلك الرسوم المتحرّكة وما أشبه...

هؤلاء الأعزّاء في زمن العولمة وعصر الميديا والتنافسِ الإعلامي والغزو الثقافي الذي يتعرّض له جيلُ الشباب يقومون بدورٍ جبّارٍ في إيصال ثقافةِ الإسلام العِتْروي ومفاهيم القضيّة الحسينيّة إلى أكبر قدرٍ من الناس في العالَم مستفيدين من ذات التقنيّات الإعلاميّة المستخدمة عند أهل الباطل.

حقًّا إنّه لَكفاحٌ إعلاميٌّ متقدّم يجب أن يُثمَّن من قبل المراجع والعلماء والخطباء والشعراء والجمهور الحسيني.. وسيكون تكريمُهم دافعًا للمزيد من تقدّمِهم والمزيد من التزامِهم الدّيني حتى وصولِهم إلى أعلى مراتبِ القوّةِ الإعلاميّة في خدمةِ الإسلام والشعائر الحسينيّة.. حيث لا يخفى ما لوسائل الإعلام في عصرنا من تأثيرٍ مباشرٍ في صناعة الرأي العام الذي يتمّ به تغييرُ الأنظمةِ السياسيّة وتسويقُ العاداتِ السلوكيّة في كلّ صغيرةٍ وكبيرة من الحياة.. فكم من أمورٍ قادتْها وسائلُ الإعلام بتقنياتِها الحديثة وتأثيراتِها على العقل الباطن للناس وتحريكهم باتجاه فَرْضِ الأمر الواقع.

نحن بدورِنا إذ نشكر جميعَ العاملين والعاملات في المجالات الإعلاميّة لإحياء الأمر الحسيني نَضَعُ بين أيديهم سبعَ توصياتٍ شرعيّةٍ وإداريّة لتحسين الأداء الفنّي وضبطه الحضاري:

التوصية الأولى:

عندما يبدأ الخطّاط أو الرسّام أو النحّات أو المسرحيّ أو المصوِّر والإعلاميّ عملَه الحسيني لابد له من التركيز على مدى انسجام عملِه مع ما كان يريده الإمامُ الحسين.. فمثلًا قبل البدء في إصدار عملٍ عن النساء في كربلاء وهنّ ناشراتٌ شعورَهنّ عند سماعهنّ مقتل الحسين الفجيع.. يجب عليهم أن يفكّروا هل هذا العمل يُرضي الحسين (عليه السلام) بناءً على أنّ ذلك الموقف كان خارجًا عن السيطرة وإنما حدث في داخل الخيمة أو في وسط عدّة خيام بحيث لم يَرَهُنّ العدو ولم يكن معهن رجال بعد استشهادهم إلا الإمام زين العابدين (عليه السلام) وهو في لحظتها عليل داخل الخيمة.. فكيف لنا اليوم إخراجُ تلك الحالةِ المستورة لحَرَم الإمام من خلال رسمٍ أو نحتٍ أو تمثال؟!

وهكذا مثلًا إظهار بنت الإمام الحسين (عليه السلام) في الحال الذي يهاجمُها أحدُ المجرمين لسَلْبِ قيراطها من أذُنَيْها حيث يظهر جزءٌ من رقبتها أو شعرها في الرّسم أو النّحت!! فهل هذا مما يرضاه الإمام (عليه السلام)؟! أو إظهار أحدٍ من أبطال كربلاء مثلًا وهو يستجدي الماء!! أو إظهار البطل الشجاع مسلم بن عقيل (عليه السلام) في مجلس ابن زياد واقفًا بنحو الإنكسار مثلًا!! أو إظهار هندام السيّدة زينب (سلام الله عليها) وهي الملقَّبة بمخدَّرة بني هاشم.. فهل يسمحُ الإمام الحسين (عليه السلام) بذلك وتقبله عقيلةُ الهاشميّين نفسُها وهل ترضاه أمُّها السيّدة فاطمة الزهراء وأبوها الإمامُ علي وأخوها الحسن (عليهم السلام) وقد كانوا حُرَصاء على أن لا يرى أحدٌ حجمَها الظاهري؟!

وأمثال هذه الأمور التي تُخالفُ معاني الكرامةِ والعزّةِ والشموخِ والسّترِ والإباءِ والصمود. فلا شكّ أنّ تجسيدَ ذلك في الرسوم والنحوت والتشابيه والأفلام عملٌ غيرُ جائز وهو مرفوضٌ عند الله ورسوله وأهل البيت ويَدخُل في إطارِ الوهْن للمذهب والكذبِ على المعصوم. فهذا مما يجب أنْ ينتبهَ له الإخوةُ العاملون والأخواتُ العاملات في مجالِ الرّسم والنّحت والمسرح والشّبيه والتصوير.

التوصية الثانية:

من الضروري قبل البدءِ في تلك الأعمال الفنّية أن يسألَ نشطاء هذا المجال من علماء الدّين عن فكرتهم التي يريدون انجازَها كيلا يُتعِبوا أنفسَهم ثم يكتشفوا أنّ تعبَهم كان خلافَ الشرع ومما يجلب لهم العقابَ أو العتابَ بدل الأجرِ والثواب.

التوصية الثالثة:

إنّ من الواجب الشرعي عدمَ خلطِ الحلال بالحرام في انتاج ما يجهدون أنفسَهم عليه. فمثلًا انتشر العديدُ من الأعمالِ الجميلة من حيث المحتوى ولكنها ممزوجةٌ بالموسيقى وبحركات مقتبَسة من المغنّين في مجالس اللّهو والطّرب!! فهل هذا العمل لو افترضنا قدّمه مُنتِجوه إلى الإمام الحسين (عليه السلام) سيستمع فيه إلى الموسيقى المضافة ويبارك لهم؟! وهل الذي يقوم بإدخال الموسيقى على صوت الخطيب الناعي مصيبةَ الحسين لو فَتَحَه لمولاتِنا فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) ستستمع إليه وتبكي أم تَسخَط على مَن لم يفهم قولَ الله هذا: (خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا...)؟!

مِن هؤلاء مَن يبرّر فعلَه برخصةِ بعض المراجع في الموسيقى!! ويتجاهل أن هذا البعض قصد الكلاسيكيّةَ منها وهي التي لا تكون صاخبةً وذات رَدْحٍ وطَرَب كما في بعض القنوات العراقيّة. فهل هذا يستمع إليه المرجعُ الذي تمّ التذرُّع برخصتِه؟!

والبعضُ يضيف الموسيقى على صوت الخطيب الناعي أو العالِم المحاضِر أو قارئ الدعاء من غير علمهم وبلا استجازتهم.. فهل هذا يجوز في الشرع والأخلاق وحتى القانون؟!

التوصية الرابعة:

من الجدير وضعُ نقابٍ على وجه الذي يمثّل دورَ المعصوم (عليه السلام) في العمل المسرحي والتشابيه وفي الأفلام ومقاطع الفيديو وكذلك في الرّسم والنّحت.

والأفضل منه هو وضعُ إنارةٍ داخلَ ما يشبه الرأسَ الشريف لينيرَ قُرصَ الوجه ويشعّ نورًا، وهذا أثرُه سيكون أشدّ على الناظرين والحاضرين والباكين.

التوصية الخامسة:

لا يجوز في أيّ عملٍ من هذه الأعمال أو في مراحل الإعداد له اختلاطُ الرجال والنساء بحجّة التعاون إلا في حدودِ الضرورةِ القصوىٰ مع رعايةٍ كاملةٍ للحجاب الشرعي والاحتشام والأدب. أمّا تعاملُ الطرفين بطريقةِ الزمالة المتداولة في الوظائف الدنيويّة المختلطة فهو مما يُغضِب الإمامَ الحسين.. وهل كان في كربلاء خلْطٌ بين الرجال والنساء؟! كلّا حتمًا جزمًا يقينًا.

التوصية السادسة:

حينما ينشر الإعلاميّون في مواقع التواصل الاجتماعي أو يرفعون إلى القنوات الفضائيّة منتوجاتهم أو منتوجات غيرهم يجب أنْ لا يَغفلوا عن الدقّة الأخيرة قبل النشر والرّفع. فلعلّ الخطّاطَ والرسّامَ والنحّاتَ والمسرحيَّ والمصوِّر قد فاتَهُ شيءٌ.. فليكنِ الإعلاميُّ الفَطِن والإعلاميّةُ الفَطِنة كالعيون الساهرة في مرحلةِ الرقابة الأخيرة ولا يتسرّعوا ثم يندموا على خلل يصطاده أعداء الاسلام والتشيّع.

التوصية السابعة:

جديرٌ بهؤلاء الإخوة والأخوات أن ينشروا من أقوال النبيّ والأئمة (عليه وعليهم الصلاة والسلام) وكلمات السائرين على نهجهم فيما يتعلّق بالمفاهيم الاسلامية العامّة وما عن الشعائر الحسينية ما هو مفهومٌ منها لكلّ المستويات، فلا يختاروا للنشر ما يحتاج إلى شرح.. ولا ما لا علاقةَ له بقضايا العصر الراهن. فكلماتُ أهل البيت (عليهم السلام) كمجموعةِ أدويةٍ في الصيدليّة.. لكلّ مريضٍ دواؤه الخاص وفي وقتِه الخاص.

وأخيرًا:

نرجو ممن قصدناهم بهذه التوصياتِ السبع أن يجدوها في الرواياتِ الثلاثة التالية عن مولانا الإمام الحسين (عليه السلام):

١- "الحِلْمُ زِينةٌ، والوَفاءُ مُرُوءَةٌ، والصِّلَةُ نِعْمةٌ، والاستِكْثارُ صَلَفٌ، والعَجَلةُ سَفَهٌ، والسَّفَهُ ضَعْفٌ، والغُلُوُّ وَرْطةٌ، وَمُجَالَسةُ أهْلِ الدَّناءَة شَرٌّ، ومُجَالَسةُ أهلِ الفُسُوقِ رِيبةٌ".

٢- "إعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَم أنّه مَأخُوذٌ بِالإجْرَام، مَجْزِيٌّ بِالإحْسَان".

٣- "كَتَبَ رجل إليه (عليه السلام): يَا سَيِّدي.. أَخْبِرْني بِخَيْرِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ. فَكَتَبَ (صَلَوَاتُ الله عَليهِ): {بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمّا بَعْدُ، فَإنَّ مَنْ طَلَبَ رِضَا الله بِسَخَطِ النّاسِ كَفَاهُ اللهُ أُمُورَ النّاسِ، وَمَنْ طَلَبَ رِضَا النّاسِ بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ اللهُ إلَى النّاسِ. وَالسّلام".

الركيزة العاشرة: (السيّدةُ زينب والإمامُ السجّاد.. مؤسِّسانِ بكاملِ المؤهّلات لصناعةِ الإعلامِ الحسينيّ الأقوى)

أبدؤها بقصةِ أحدِ العلماء من أهل البصيرة.. وقد سافر إلى مكّة المكرَّمة فوقف أمامَ الكعبةِ المشرّفة وهو ينظر إلى كثرةِ الطائفين حولَها فخاطب اللهَ تعالى قائلًا: يا ربّ أسألُك أن ترفعَ من درجاتِ نبيِّك ورسولِك وحبيبِك محمدٍ (صلى الله عليه وآله) إذ بَلَّغ دينَك القيّم حتى دخل الناسُ فيه أفواجًا. ولولا تبليغُه لَمَا كان دينُك يَظهرُ ويعلو ويكونُ لك هذا العددُ من الطائفين وغيرِهم من المسلمين على امتدادِ القرون السالفة.

ثم سافر هذا العالِمُ البصير إلى المدينةِ المنوّرة فوقف أمامَ ضريح الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأخذ ينظر إلى كثرة زوّاره فقال: يا رسولَ الله هنيئًا لك بأميرِ المؤمنين عليّ (عليه السلام) فلولا جهادُه وتضحياتُه وتبليغُه للدّين الصحيح لَمَا بقي من الإسلامِ شيءٌ وما كان لك هؤلاءُ المُحبّين ولا غيرُهم في أنحاء العالَم عبر قرونٍ متمادية.

ثم خرج إلى النجفِ الأشرف فوقف أمامَ ضريح الإمام علي (عليه السلام) وأخذ ينظر إلى زحام الزائرين حوله.. فقال: يا عليّ.. هنيئًا لك بولدك الشهيدِ المذبوحِ الغريبِ العطشانِ المظلومِ الإمامِ الحسين (عليه السلام).. يا سيّدي يا أبا الحسن لولا رَفْضُ ولدك الحسين لبيعةِ الظلم والطغيان وخروجِه إلى كربلاء الدّم والآلام وخطابه النهضوي الثائر لما كان يبقى شيءٌ مما جاهدتَ لأجلِه أنت وزوجتُك المضطهدة فاطمةُ الزهراء وولدُك الإمامُ الحسن وفاءً لرسول الله محمّد (صلى الله عليكم جميعًا).. ثم ما كان لك يا مولاي هؤلاءُ الزائرين وغيرُهم من المحبّين في مشارقِ الأرض ومغاربِها طيلةَ قرونٍ إلى يوم القيامة.

ثم غادر هذا العالِمُ الواعي النجفَ إلى كربلاء.. فوقف أمامَ ضريح سيّد الشهداء (عليه السلام).. بدأ يتأمّل في كثرة الزائرين حول ضريحِه الشريف التوّاقين للمسِه ولَثْمِه وتقبيله.. فخاطبه قائلًا: يا أبا عبدالله الحسين.. لولا أختُك أمُّ المصائبِ زينب (عليها السلام) تلك المرأةُ الشجاعة الصابرةُ البليغة العالِمة غيرُ المعلَّمة.. لكنتَ تُدفَنُ في هذه البقعة ولم يعرف أحدٌ ما هي قصّتُك، ولكانت وسائلُ الإعلامِ الأمويّة وأقلامُ المرتزقة يُظهِرونك خارجيًّا قد خرج عن دين جدّه فقُتِلَ بسيفِ جدّه.. ولكنّها زينب هي التي خطبتْ في الناس وصرختْ في وجهِ الطغاة وشرحتْ مبادئك وما جرىٰ عليك وعلى أولادك وأصحابك من ظلمٍ فضيع.. فبقيتْ أقوالُها مادّةً أساسيّة للأجيال من بعدك.. ومنها انطلق العلماءُ والخطباءُ والشعراءُ والأدباءُ والمؤرّخون والإعلاميّون وغيرُهم للتعبير عن مأساةِ الحزن الكبير في واقعة الطفّ فانتشرتِ الحقائقُ وتحطّمتْ إمبراطوريّةُ الكذبِ الأمويّ الحاكم.

بهذا التسلسل الذي أبداه هذا العالِمُ الواعي في خطابِه لله والرسول والإمامين عليٍّ والحسيْن.. بيّن لنا أهمّيةَ الإعلامِ الإسلامي بصورةٍ عامّة وآثارَ المواقف الإعلاميّة التي وقفتْها السيّدةُ زينب

(سلام الله عليها) والإمامُ السجّاد (عليه السلام) في واقعةِ كربلاء الدامية.. وكأنّ الإمامَ الحسين (عليه السلام) قد أتى بهما ليكونا مؤسِّسَيْن لخُطّةٍ إعلاميّةٍ كاملة للتغطية الخبريّة الصادقة عن الواقعة وما بعدها. وقد زلزلا بخطبتَيْهما الكوفة والشام.. ثم أكمل الإمامُ السجّاد (عليه السلام) ضربتَه القاضية بخطبتِه التي أرغم عليها الطاغية في الجامع الأموي لمّا أحْرَجه الإمامُ فوافَقَ على صعوده المنبرَ الذي أسماه بالأعواد تحقيرًا لهم، فَصَعَدَها بطلبٍ من بعض الحاضرين من أزلامِ الطاغية والمضلَّلين من أهل الشام.. فزلزل الإمامُ السجّادُ الأرضَ تحت أقدامِهم هادمًا جميعَ ما بنتْه الترسانةُ الإعلاميّةُ للدولة الأمويّة في خطبةٍ واحدة ربما لم تتجاوز مدّتُها النصفَ ساعة حيث أُمِرَ المؤذِّنُ بقَطْعِ الكلام على الإمام، ولكنّها لقوّةِ الحقّ فيها كانت خطبةً قاصفةً لآمالِ المجرمين قَتَلةِ سبطِ خاتمِ النبيّين.

هكذا أسّستْ مواقفُ الإمامِ السجّاد وعمّتِه السيّدة زينب (عليهما السلام) مستقبلَ العمل الإعلامي في الأجيال المسلمة لمواجهةِ الباطل ومقارعةِ مَن يستنسخُه في كلّ زمانٍ ومكان. فما أروعها من كلمةٍ بلغت بها زينبُ الكبرى المقصد {ولَئِن جَرَّتْ عَلَيّ الدّواهِي مُخاطَبتَك، إنّي لَأستَصغِرُ قَدْرَك، وأستَعظِمُ تَقْريعَك، وأستَكبِرُ تَوْبِيخَك...!! ألا فَالعَجَبُ كُلّ العَجَب لِقَتْلِ حِزْبِ اللهِ النُّجَباء بِحِزْب الشّيْطان الطُّلَقاء! فكِدْ كَيْدَكَ وَاجْهَدْ جُهْدَكَ! فَوَ الَّذِي شَرَّفَنَا بِالوَحْيِ وَالكِتَابِ وَالنُّبُوَّةِ وَالِانتِجَابِ لَا تُدْرِكُ أَمَدَنَا وَلَا تَبْلُغُ غَايَتَنَا. وَلَا تَمْحُو ذِكْرَنَا وَلَا تَرْحَضُ عَنْكَ عَارُها. وَهَلْ رَأْيُكَ إِلَّا فَنَدٌ وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدٌ وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدٌ، يَوْمَ يُنادِي المُنادِي: ألاَ لَعْنةُ اللهِ عَلَى الظّالِمين...}.

هكذا تكونُ قوّةُ الكلمةِ الطيّبة وثمارِها المستمرة كما قال عنها ربُّنا تعالى: (كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ * تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).

إنه الأثرُ الواسع الذي تتركه الكلمةُ الطيّبة لتغذّي وسائل الإعلام من عُمْقِ ما خصّه اللهُ رسولَه خيرَ البشر وأوصياءَه الإثْنَي عشر (عليه وعليهم الصلاة والسلام).. وتُقابِلُها الكلمةُ الخبيثة التي يُطلِقها الإعلامُ الفاسد.. كما في تتمّةِ الآيةِ نفسها: (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ).

ننتقل بعد هاتيْن الآيتيْن للتأمُّل في الآية الثالثة التي بعدهما إذ تؤكد وجوبَ القولِ الثابت للمؤمنين في مواجهة قول الظالمين: (يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ).

وهذا لا يتحقّق إلا بمرجعيّة الثقليْن التي أوصى بها الرسولُ الأعظم (صلى الله عليه وآله).. ثِقْلِ القرآن وثِقْلِ العترة.

ففي صناعةِ الاعلام الحسيني الأقوى لابدّ من الرجوع إلى الثقلين في بُعدهما التبليغي:

١- من الآيات القرآنيّة حول مواصفات القول.. وأهمّ أبعادها:

- البُعْد العبادي والعملي: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ).
- البُعد العقائدي والأخروي: (وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ).
- البُعد الاجتماعي العام: (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا).
- البُعد العلمي والحضاري: (فَبَشِّرْ عِبَادِ * ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ).

٢- من الروايات الواردة عن النبيّ الأكرم وعترته الطاهرة (عليه وعليهم الصلاة والسلام).. وبالتحديد ما ورد عنهم في قضيّة الإمام الحسين.. وما وصلنا من لسانه الشريف وخطابه النهضويّ الأصيل.. وهي على عشر خصائص حسب استقرائنا السريع:

الخصّيصة (١): جَعْلُ العقيدة بالله والدعوةِ إلى طاعته جلّ عُلاه المحورَ الوحيد الذي تدور حوله المحاورُ الأخرى في الإعلام.

الخصّيصة (٢): جَعْلُ أحاديث رسول الله وسنّتِه وسيرته دليلًا على شرعيّة الكلمة والموقف.

الخصّيصة (٣): إظهار ولاية أهل البيت ومكانتهم عند الله ورسوله والبراءة من أعدائهم كأصلٍ في التبليغ لا محيد عنه.

الخصّيصة (٤): الاستشهاد بالآيات القرآنيّة الكريمة والروايات الصحيحة حول الحدث والموقف، تأصيلًا للعمل الإعلامي.

الخصّيصة (٥): التزام المناقب الأخلاقيّة في الإعلام الحسيني.. تأسّيًا بأخلاق الإمام الحسين التي واجَهَ بها أعداءَه.

الخصّيصة (٦): الاعتزاز بالأصدقاء الأوفياء وزملاء العمل الحسيني.. كما اعتزّ الإمامُ بأصحابه الذين جسّدوا بين يديه معاني التضحية والإيثار والمودّة والتضامن والتعاون.

الخصّيصة (٧): طَلَبُ الإصلاح السياسي في الحكومات والمعارضة بِلُغة النصيحةِ والنقد البنّاء.. وتلك التي تتجاهر بالفسق وتتجاوز الخطوطَ الحمراء تتصارم معها لغةُ الإعلام الحسيني وفق الحيثيّات والأولويّات والإمكانات.

الخصّيصة (٨): إحياء ذكرى فاجعة عاشوراء في كلّ جيلٍ تِلْو جيل بعقد مجالس الرثاء والبكاء ومظاهر الحزن والعزاء ولعْن القاتلين الذين انغمسوا في جريمتهم النكراء ضدّ محمد وأهل بيته (عليه وعليهم الصلاة والسلام) بخساسةٍ لا مثيل لها في التاريخ.

الخصّيصة (٩): النصيحةُ والموعظة والجدال باللتي هي أحسن، وتوجيه الناس نحو الرّضا بالمظلوميّة والصبر على الحقّ حتى الرّمَقِ الأخير.

الخصّيصة (١٠): الحديثُ عن الجنّة وأهمِّ شروطِها وهو التقوى.. وعن النار وأهمِّ السببِ لدخولِها وهو الفجور.

هذه أبرز خصائص الكلمة الطيّبة عند الإمام الحسين وعن نهضتِه العظيمة وهي أقوى أسس إعلاميّة في المدرسة الحسينيّة. ومن غيرها لا يَحسَب أحدٌ نفسَه على طريق الفتح العاشورائي الذي كتبه الإمامُ قائلًا: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ، مِنَ الحُسَيْنِ بنِ عليّ إلى بَني هَاشِم، أمّا بَعْد، فإنّه مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُم استُشْهِد، وَمَن تَخَلَّفَ عَنّي لَمْ يَبْلُغِ الفَتْحَ، والسّلام}.

فإذا أردنا أن يكون لدينا إعلامٌ حسينيٌّ هو الأقوىٰ في العالَم يجب علينا جعلُ تلك الآيات القرآنيّة وهذه الخصائص الحسينيّة ميزان الوعي في خطابِنا وفي تقييم خطابِ الآخرين.

ذلك هو المأمول من جيل الحسينيّين في زماننا والأجيال القادمة حتى ظهور حفيد الإمام الحسين المهديّ المنتظر صاحب راية "يَا لِثَارَاتِ الحُسَيْن" ذلك القائمِ إلى بَسْطِ العدل على ربوع الأرض كلّها.

(اللّهُمَّ اِنّا نَرْغَبُ اِلَيْكَ فِي دَوْلَةٍ كَرِيمَة تُعِزُّ بِهَا الإسْلامَ وَاَهْلَهُ، وَتُذِلُّ بِهَا النِّفاقَ وَاَهْلَهُ، وَتَجْعَلُنا فِيهَا مِنَ الدُّعاةِ اِلى طَاعَتِكَ، وَالْقادَةِ اِلَى سَبيلِكَ، وَتَرْزُقُنا بِهَا كَرامَةَ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ).